من أخبار المنتكسين

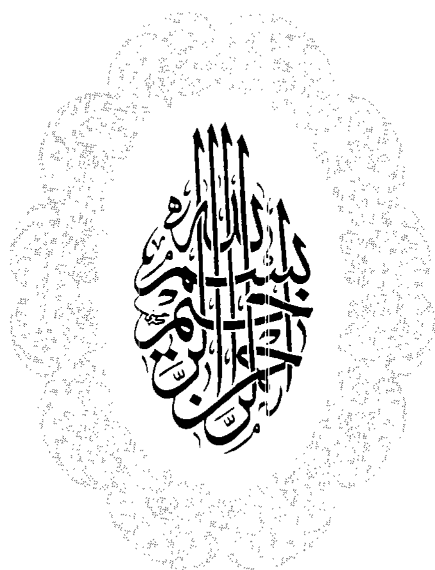
مع الأسباب والعلاج

بقلم

أبي عبد الإله

صالح بن مقبل العصيمي

الفهرس


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمـا بعـــد:

فإن الانتكاس بمفاهيمه الثلاثة:

١ ـ الارتداد عن دين الله.

٢ ـ ترك الالتزام والتمسك بتعاليم الله.

٣ ـ ترك العمل في حقل الدعوة.

ظاهرة خطيرة وجدت منذ بزوغ فجر الإسلام ولكن اشتداده في هذا الزمان أوضح وأظهر.

والانتكاس ليس مرتبطاً بالإسلام، بل إن إبليس هو أول من انتكس في التاريخ، وكذلك فإن تاريخ بني إسرائيل مليء بمثل هذه الأخبار.

ولهذه الظاهرة أسباب عديدة سأوردها في ثنايا هذه الرسالة ـ إن شاء الله ـ.

ولذا فإن علىٰ المسلم أن يعلم أن القلب البشري ليس بيده وإنما هو بيد خالقه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وما سمي الإنسان إلا لنسيه
ولا القلب إلاّ أنه يتقلب

وعليه أن يبذل جميع ما في وسعه وطاقته للتمسك بهذا الدين حتىٰ يأتيه اليقين كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾[(١)].

وإنني عندما أطرح هذا الموضوع أحب أن يعلم القاريء الكريم أموراً:

١ ـ أنني أطرح الأسباب وغالبها من وجهة نظر شخصية وهي عرضة للخطأ والصواب.

٢ ـ أن علاجي للموضوع هو كذلك كسابقه من خلال تشخيصي له.

٣ ـ أنني لا أدعي أنني قد أحطت بالموضوع من جميع جوانبه.

٤ ـ أنني لا أسخر بمن انتكس ـ والعياذ بالله ـ وإنما لأخذ العبرة والعظة﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[(٢)].

٥ ـ أن كاتب هذه السطور كغيره لا يأمن على نفسه من الوقوع

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

بمثل هذا الزلل بل أسأل الله لي ولإخواني الثبات.

٦ ـ كما أرجو من القاريء الكريم أن يسدي لي النصح والإرشاد فيما يعثر عليه أو يراه من زلل.

٧ ـ أن ما ورد في ثنايا هذه الرسالة اجتهاد بشري ـ كما سبق ـ ربما جانب الصحة من وجهة نظرك، لكنه صحيح من وجهة نظري وإلاّ لما كتبته.

وفي ختام هذه المقدمة أقول لجميع إخواني ليكن شعارنا دائماً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[1].

والمعصوم ياأيها الأخوة مَنْ عَصَمَهُ الله و:

اقـــرءوا التـــاريـــخ إذ فيـــه العبر

ضـــلّ قـــوم ليـــس يـــدرون الخبر

فإنه مليء بأخبار هؤلاء المنتكسين، ولنعلم أن هناك من انتكس وهو في دار الهجرة وكفىٰ به مثلاً لمن كان له قلب. والله الموفق.

وكتبـه

صالح بن مقبل العصيمي

الرياض ١٤١٥هـ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

تمهيد

لابد أن تعرف أن الهداية نعمة أنعم الله بها عليك وسوف يحسدك عليها أهل الكفر والفسوق والعصيان ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) ﴾(٢).

إن هداية من ضل بعد الإيمان من الأمور الصعبة ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩) ﴾(٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٩.
(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٨٦ ـ ٨٩.

ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾[١] إن الحسرة تكون في موت الإنسان كافرا أو ضالا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾[٢].

إن من أعظم أسباب الضلالة طاعة الكفرة والسير في مسلكهم واتباع منهجهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[٣] لكن من يتدبر القران ويتعظ به ويجعله منهج حياة له يجد الله يحذر من موالاة الكافرين كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[٤] فلتعلم أيها المسلم أن الردة من عمل الشيطان وتدبيره والله حذرك منه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[٥].

لتعلم أن الردة وبال على صاحبها ولن يضر الله شيئا: ﴿وَإِن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.
(٥) سورة محمد، الآيات: ٢٥ ـ ٢٨.

تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[١].

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

فاحذر أن تكون ممن أصابه الحور بعد الكور فقد ورد عند مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عبدالله بن سرجس قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور.

إن الله لا يضل من اتعظ وخاف واعتبر ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾[٣] فلا يصرف الله آياته ولا يحرمها إلا عن من لا يستحقها ولا يتعظ بها ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾[٤]. ويقولُ الله مبيناً أن الإنسان هو الذي يقود نفسه للضلالة ويختار لنفسه طريق الغواية مع وضوح طريق الحق وظهوره ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾[٥].

وبعد سرد هذه النصوص من الكتاب والسنة والتي اكتفيت بها كتمهيد لهذه الرسالة أسأل الله أن ينفع بها من كتبها ومن قرأها إنه سميع مجيب.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٩.
(٣) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٦٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة الصف، الآية: ٥.

أسـباب اختيـار الموضـوع

إن على الإنسان قبل أن يكتب في موضوع ما، معرفة مدىٰ الجدوىٰ من كتابته ومدىٰ حاجة الأمة لما سطره قلمه. إن لكتابة هذا الموضوع واختياره أسباب ولعلّ من أبرزها:

١ ـ كثرة من كتب عن التوبة وقصص التائبين حتىٰ كأن الانتكاس ليس له أثر وأن الناس في منأى عنه.

٢ ـ عدم معرفة الغالبية الأسباب التي تؤدي بهم للانتكاس.

٣ ـ قلة من كتب في هذا الموضوع، وقد لاحظت أن من كتب لا يخلو من:

أ ـ لم يفرد له مؤلفاً بل وضعه في ثنايا كتاب من كتبه.

ب ـ من تعرض للظاهرة من خلال ذكر القصص دون أخذ الفائدة منها.

جـ ـ من ذكر أسباباً قد لا توجد في هذا المجتمع.

د ـ من ألّف في الموضوع وعظاً وإرشاداً دون تطرق للأسباب أو ذكر للقصص وقد ظهر لي هذا من خلال بحثي وإلا فقد تكون هناك مؤلفات لم أعثر عليها أو لم اطلع عليها من خلال بحثي وبحث إخواني، ولا أخفيك ـ أيها القاريء الكريم ـ سراً أنني كنت أتمنىٰ أن أجد من عالج هذا الموضوع بشمولية وأراحني من عنائه.

انتبه للخطر

كان النبي الملهم والقائد المسدد والمعصوم ﷺ أشد الناس خوفاً من ربه وأقربهم إليه، ومع ذلك كان يخشىٰ الانتكاس ويخاف على نفسه سوء الخاتمة.

وقد كان بأبي هو وأمي يكثر من قوله: «**يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك**»[١].

وقد تعجبت زوجه عائشة ـ رضي الله عنها ـ من هذا الدعاء فأخبرها أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. ولا شك أن كون الرسول ﷺ يخشىٰ من ذلك فإننا أولىٰ بهذه الخشية، إن المؤمن يخاف ويرتجف عندما يسمع هذه الخبار فأين القلوب الواعية؟

---

(١) ونصه عن أنس كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» فقلت يانبي الله!! آمنّا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**» رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني بمشكاة المصابيح ج١ ص٣٧ وأورده في صحيح الجامع بألفاظ أخرى منها: «**يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك**» وعزاه إلى الحاكم وابن ماجه عن النواس بن سمعان ج٢ ص١٣٢٣.

لابدّ أن تعرف

يعتقد بعض أهل العلم أنهم بمنأى من السقوط، وأن المخاطب بهذه الكلمات هم العوام والبسطاء أو حديثي الالتزام وصغار السن. ومن اعتقد هذا فهو على خطر عظيم، وأظن أن الشيطان قد استحوذ عليه وزيّن له سوء عمله، ومن ادعىٰ العصمة مهما بلغ علمه ووسع فهمه فقد ادَّعىٰ شيئاً لم يدَّعه المعصوم ﷺ: قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾(١) وقد حدثنا التاريخ عن أناس ما كان لأحد أن يتصور انتكاستهم ولكن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

لقد قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كلمة تحمل معانٍ عظيمة لمن تدبرها وفقه معناها: «استن بمن مات فإن الأحياء لا تؤمن عليهم الفتنة» وهذه العبادة الموقوفة عليه تبين إلى أي مدىٰ كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لا يضمن أحدهم الاستمرار على هذا الطريق وكيف أن الواحد منهم لا يرىٰ الاقتداء بالأحياء لأنهم ليسوا بمنأى عن الفتن.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

تعـــريف الانتكـــاس

(نَكَّسَ)[١]: الفرس: نُكس. و ـ فلان: عَبَس وبَسَرَ. و ـ اللهُ فلاناً في العمر: أطال عُمْره إلى أرذل العُمُر فعاد إلى حالٍ كحالِ الطفولة في الضعف والعجز. وفي التنزيل العزيز: **﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾**.

و ـ الشيءَ: نكَسَه.

(انْتَكَس)[٢] الشيءُ: انقلب ـ يقال: نكَسَه فانتكس. والمريْضُ: عاودته العِلّة بعد النَّقَهِ.

(تَنَكَّسَ)[٣]: انتكس. يقال: نكَّسَه فتنكَّس.

(نُكِس)[٤]الولدُ: خرجت رجلاه قبل رأسه. و ـ المريضُ: عاودته العِلَّة بعد النَّقه. و ـ فلانٌ: ضعُف وعجَز. و ـ عن نُظرائه: قصَّر. يقال: نُكس الفرس: لم يلحق بالخيل في جريها. ويقال: نُكس على رأسه: رجَع عمّا عرفه. وفي التنزيل العزيز **﴿ثمّ نُكسوا على رُءُوسهمْ﴾**.

وإليـــك الأســـباب:

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٩٥٣.
(٢) المعجم الوسيط ٢/ ٩٥٣.
(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٩٥٣.
(٤) المعجم الوسيط ٢/ ٩٥٣.

١ ـ عدم الاهتمام بجانب الدعاء:

للدعاء أثر عظيم في حياة المسلم، وهو السلاح الذي لا يمكن للأعداء حرمان المسلم منه، وهو سلاح مضمون النتيجة إذا توفرت شروطه وآدابه لذا قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء.

والدعاء عبادة يلجأ إليها المسلم إذا حزبه أمر من عدو أو ظالم، أو يتقرب به إلى الله تعالى ليرفع درجاته أو يعينه على أمر دينه أو يرحم إخوانه. وليس هذا مكان الحديث عن الدعاء بمفهومه الشامل، ولكن هناك عوائق تمنع من استخدام الدعاء من خلال الموضوع سأذكر بعضها:

أ ـ عـــدم المبـالاة:

قد يكون هذا العائق من أعظم العوائق حيث أن غالبية المنتكسين قد يكون أهمل هذا الجانب، ولم يعد له ذكر في حياتهم، وأذكر أن والدي ـ رحمه الله ـ كان يكثر من قول: «يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك»[١] وقد أخبرني من أخبرني أن الناس في السابق كانوا يولون الدعاء جلَّ اهتمامهم، مما جعلهم بمنأى بحمد الله وفضله عن السقوط.

---

(١) سبق تخريجه.

ب ـ عدم استشعار عظمة الدعاء وآثاره.

جـ ـ عدم امتلاك القدرة التي تمنع الشيطان من حرمان المؤمن من لذة الدعاء والمناجاة فتجد المسلم يرضخ للشيطان ويستجيب لندائه بعدم الدعاء.

د ـ الذنوب والمعاصي :

جسمك قد أفنيته بالحمىٰ
دهراً من البارد والحار
وكان أولى بك أن تحتمي
من المعاصي حذر النار

وقال آخر:

أيضمن لي فتىٰ ترك المعاصي
وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا
ولم يتجرعوا غصص المعاصي

وقال آخر:

العمر ينقص والذنوب تزيد
وتقال عثرات الفتىٰ فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد
رجل جوارحه عليه شهود

والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي
تقليلها وعن الممات يحيد

حيث أن تراكم الذنوب علىٰ القلوب ورانها عليه من الأسباب المانعة من استخدام هذا السلاح.

هـ - جهل كثير من الناس بمفهوم الدعاء بالثبات وعدم خصوصيته:

وهناك من يعتقد أن الدعاء بالثبات لا يكون إلا لمن وقع في الزلل أما من سار على الجادة والتزم الطريقة الصحيحة فهو في غنى عن ذلك، وهذا هو الخطأ، فالرسول ﷺ وأصحابه مع أنهم من هم بالفضل كانوا يكثرون من الدعاء بالثبات.

وقد يقول قائل: إننا ندعوا دائماً ولكن لم نجد أثراً لذلك فما الأسباب؟ فأقول الأسباب كثيرة نتطرق لبعض لما يهمنا منها هنا:

عدم فعل الأسباب المعينة على إجابة الدعاء والتي ذكرها أهل العلم وأذكر منها:

* إطابة المطعم والمشرب.
* إعطاء الناس حقوقهم ورد المظالم إليهم.
* صلة الرحم وبرّ الوالدين.
* تحري أوقات الإجابة كالثلث الأخير من الليل، والساعة الأخيرة من يوم الجمعة، وأدبار الصلوات وفي السجود وعند نزول المطر وعند المرض والسفر. ومن الأدعية المأثورة «**اللهم**

إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور، ومن دعوة المظلوم، ومن سوء المنظر في الأهل والمال»[١].

وبعد: فإن الدعاء سلاح قوي المفعول، مضمون النتائج بإذن الله متىٰ استشعرنا عظمته وعلمنا حاجتنا إليهِ وأنه لا غنىٰ لنا عنه فهو العبادة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[٢].

ولعل من المناسب أن أذكر بعض ما ننصح بقراءته في هذا الباب:

* الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي «الداء والدواء» لابن القيم.
* الدعاء لسعيد بن علي بن وهف القحطاني.
* الدعاء لمحمد بن إبراهيم الحمد.
* الأذكار للنووي.
* صحيح الكلم الطيب. للألباني وهو من مصنفات شيخ الإسلام وغيرها كثير.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢) في الحج: باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

٢ ـ عدم سؤال الله الهداية:

وهذا السبب قد يكون من الأسباب التي قد تؤدي إلى الردة والبعد عن الإسلام.

فكثير من أهل الإسلام ممن بَعُد عن الطريق المستقيم يأنف من سؤال ربه الهداية بل إن بعضهم يتبجح ويقول أن حاله الآن أفضل.

فبعض الضالين يظل علىٰ معاصيه حتىٰ تنكت علىٰ قلبه نكتة سوداء يصعب أن يتخلص منها كما ورد في الحديث الصحيح عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتىٰ تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه**»[1].

فالويل لمن لا يعي مثل هذه الأمور والويل لمن استمرأ المعاصي وواظب عليها والخيبة والحسرة له إن لم يتخلص منها. وعلى المسلم ألاَّ يعتقد أنه في غنىٰ عن سؤال ربه الهداية، أو أن أوضاعه مستقرة لا يمكن أن تتغير أو تتبدَّل فالإيمان يخلق في القلوب فيحتاج إلى

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب (٦٥) حديث (٢٣١).

تجديد النية والتوبة فلا غنية لمسلم عن الهداية، فالمعصوم ﷺ كان يسأل ربه الهداية فما بالك يا من أصبحت المعاصي والذنوب جزءاً لا يتجزأ من حياته، وما بالك يا من أصبح الشيطان يجول ويصول علىٰ قلبك القاسي كيف يشاء.

حري بمن هو على هذه الشاكلة أن يبكي بين يدي مولاه وأن يسأله التوفيق والهداية.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة فها هو ذا يوجه حفيده توجيهاً كريماً ويقول له: **«إني أعلمك كلمات تقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يُقضىٰ عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت»**[1].

---

(١) رواه ابن ماجه في باب القنوت في الوتر (١١٧) حديث (١١٧٨) ورواه الدارمي في باب الدعاء في القنوت (٢١٤) حديث (١٥٩٤). ورواه أبوداود في عون المعبود (٣٣٤) باب القنوت في الوتر حديث (١٤١٢).

٣ ـ الميل للعزلة:

الإنسان اجتماعي بطبعه يحب الاجتماع ويأنس إليه، ولقد ندب الإسلام في بعض الحالات للعزلة لكن الأصل هو الاختلاط والمعاشرة، وللإمام الخطابي كتاب جميل بعنوان «العزلة» وأنا أتطرق للعزلة هنا من حيث كونها سبب للانزلاق والانتكاس.

فالشاب عند التزامه بحاجة لمن يقوم على تربيته وتوجيهه وحثه على السير قدماً في هذا الطريق.

إن العزلة خطوة يخطوها الشيطان لإبعاد الشاب عن طريق الالتزام، والبعض عند مناقشته في العزلة يضع لها فوائد منها: طلب العلم ـ تربية النفس ومحاسبتها ـ تعويد النفس على العبادة وغير ذلك، ولكن المتمعن يعلم أن الخلطة لا تمنع من طلب العلم ولا تحرم من التربية ولا تمنع الإنسان أن يقتطع جزءاً من وقته لتحقيق ما سبق، فالعزلة المذمومة هي الانقطاع بالكلية عن الناس، والمؤمن مطالب بمخالطة الناس وعدم الانفراد عنهم فالرسول ﷺ كان يأمر أصحابه بالاجتماع ويبين لهم أن العزلة والتفرق من الشيطان عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرَّقوا في الشعاب والأودية. فقال رسول الله ﷺ: «**إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**» فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلاّ انضم بعضهم إلى بعض، حتىٰ يقال: لو بُسط عليهم

ثوب لعمهم[١].

إن الإنسان عندما ينعزل عن أهله ورفاقه يصبح سهل الاصطياد وسهل الوقوع في الزلل لذا قال ﷺ: «إنما يأكل الذئب القاصية»[٢].

لذا أحذر الشباب وأقول لهم احذروا من تلبيس إبليس ووسوسته وخذوا العبرة ممن سبقوكم.

فالمرء عندما ينعزل عن رفاقه يشعر بالوحشة ويجد نفسه بحاجة إلى المخالطة فيجد غضاضة في العودة إلى رفاقه الطيبين الذين انعزل عنهم بحجة طلب العلم والتفرغ للعبادة فلا يجد مناصاً من العودة لأصدقاء السوء والأشرار.

بل إن للعزلة مساويء خطيرة تجعل للشيطان إلى الإنسان سبيلاً للتفرد به وإيقاعه في الشبهات والشهوات.

---

(١) رواه أبوداود، والهيثمي في موارد الظمآن، والهندي في كنز العمال، والبيهقي في السنن الكبرى وقال العلامة الألباني في مشكاة المصابيح: إسناه جيد.

(٢) رواه أبوداود في كتاب الصلاة (٤٦) «باب في التشديد في ترك الجماعة» حديث رقم (٥٤٧) تحفة الأشراف (١٩٦٧)، والنسائي في كتاب «الإمامة» (٤٨) «باب التشديد في ترك الجماعة» والإمام أحمد في المسند.

قصة

ولا شك أن العزلة لها درجات ولعل من أخطرها هجران الأهل والأقارب، وأذكر هنا قصة واقعية لأحد الشباب تزيد عن ثلاث عشرة سنة، وهي أن شابا ينتمي لأسرة ثرية، رأى أهل الخير فيه سمات الصلاح، وطلبوا منه الانضمام إليهم، ولكن والده مانع ذلك، وبعد إصرار شديد وافق الوالد ولم يمض وقت حتىٰ بدأ نور الإيمان يظهر على محياه، ولكن بعد فترة شعر الشاب أن محيط الأسرة لا يساعده على الالتزام فقرر العزلة وانفرد بملحق في بيت أبيه، ولكنه لم يصبر على هذه الحياة فقرر العودة إلى الأسرة ولكن بمشاركته لهم في معاصيهم وآثامهم.

ألم يكن أولىٰ به ألاّ ينعزل عن أهله ويمارس الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدلاً من عزل نفسه ثم حصول ما حصل له ـ والله المستعان ـ.

٤ ـ الشهوة:

يعتبر هذا المرض من أخطر ما يواجه الإنسان في حياته الدنيا، وهو من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى كب الناس في النار، وقد ضمن رسول الله ﷺ الجنة لمن ضمن ما بين فكيه وفخذيه.

إن الشهوة خطر محدق بالإنسان وغالباً ما تحول بينه وبين ربه، والشهوة التي سوف تكون مدار حديثي هي شهوة الفرج والنظر فكم من عابد لله حولته إلى فاسق من الفساق وكم من عالم حولته إلى جاهل من الجهال. وكم أخرجت أناساً من الدين كانوا في نظر من يعرفهم من أبعد الناس عن الانتكاس. أورد الإمام القرطبي في كتابه التذكرة مجموعة من القصص في هذا المضمار، سأورد ما أستطيع منها بتصرف:

فذكر أن رجلاً كان مؤذناً بمصر لأحد المساجد سنين طويلة، وكان مثالاً لأهل الخير والصلاح ترىٰ على وجهه نور الطاعة والعبادة، وكان يرقىٰ المنارة للأذان كل يوم وفي أحد الأيام نظر إلى بيت نصراني ذمي تحت منارة المسجد فرأى بنت صاحب الدار، فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار. فقالت له: ماذا تريد؟ قال: أريدك أنت. قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبتني لبي وأخذتي بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال: أتزوجك. قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصرً. قالت: إن فعلت أفعل. فتنصر ليتزوجها،

وأقام معها في الدار، وقبل الزواج رقىٰ إلى سطح الدار فسقط منه فمات. فلا ظفر بها ولا ظفر بدينه، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة. ا.هـ.

انظر رحمك الله كيف باع دينه من أجل امرأة نصرانية انظر إلى هذا المسكين كيف ظلَّ محافظاً علىٰ دينه سنين طويلة كان خلالها رمزاً من رموز الدين وعلماً من أعلامه، ولكن سقط في النهاية من أجل امرأة نصرانية تقول (الله ثالث ثلاثة).

إن الإنسان إذا ثارت شهوته ولم يمسكها بتعقل أوردته الموارد، وانظر رحمك الله إلى مقارنة بين هذا الرجل وبين نبي الله يوسف عليه السلام فإذا نظرت وجدت العجب العجاب، إن هذا الرجل لم تبتليه هذه المرأة بنفسها كما ابتلت امرأة العزيز يوسف، وهيأت له أجواء المومسات ودعته إلى ممارسة البغي لكنه من الرجال الذين يحملون شعاراً عظيماً ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ﴾[1]. ولكي لا أتهم بالمبالغة عندما أقارنه بالأنبياء والأصحاب فأقارنه برجل ليس من أولئك إنه خالد المسكي الذي تواتر خبره وانتشر أمره وملخص خبره ما يأتي: كان خالد المسكي شاباً جميلاً لكنه تقياً ورعاً يكسب قوته بعمله وتعبه يحمل بضاعته على رأسه كبائع متجول فانبهرت بجماله إحدىٰ النساء ودعته لبيتها بحجة أنها تريد

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

الشراء منه وغلّقت الأبواب وقالت: إن لم تفعل بي فضحتك أمام الناس واتهمتك أنك تريد أن تهتك عرضي، ولما لم يستطع الخلاص منها بشتىٰ الطرق أظهر لها الموافقة وطلب منها السماح له بدخول الحمام من أجل أن يزيل الأوساخ والأدران فسعدت بذلك ووافقت فدخل الحمام، وبحث عن مخرج من هذا الابتلاء، فوجد حيلة تدل على رجاحة عقله وعلىٰ قوة إيمانه، حيلة بها من القذارة الظاهرة لكن لا ضير بها إذا كانت من أجل الفرار من معصية الله، فلطّخ جسده بالغائط ولوّث به وجهه فأصبح يحمل رائحة كريهة ومنظراً بشعاً فخرج إليها، فلما رأته على هذه الحالة استقذرته وأمرته بالخروج من بيتها وطردته، وفر بنفسه وضحىٰ بجمالها ومالها بل ترك بضاعته عندها لينجو بدينه، فأنعم الله عليه بدلاً من هذه الرائحة الكريهة برائحة زكية كأنها المسك، حتىٰ أصبح الناس يعرفون قدومه عند شمّ رائحته وأصبح يسمى عند الناس بخالد «المسكي».

إن الإنسان يحار عقله عندما يقارن قصة هذا الفتىٰ المؤمن مع شباب المسلمين في هذا الزمان الذين يقطعون آلاف الأميال ويتحملون متاعب السفر ويبذلون الكثير من الأموال ليمارسوا البغاء والرذيلة دون خوف أو مراقبة.

دون خوف من نهاية مأساوية قد تحصل لأحدهم بل حصلت لهم فهذا فتىٰ سافر إلى بانكوك وتعرف علىٰ فتاة بغي هناك وأصبح

يعاشرها كما يعاشر الرجل زوجته يتلذذ بمنظرها ويستأنس بحديثها لا يحتمل فراقها ولا يستغنى عنها، وفي أحد الأيام تأخرت فاجرته عن القدوم إليه فطار صوابه وعاش ساعات حرجة وأوقات صعبة، حتىٰ قدمت إليه فزال حزنه وانفرج همه، واستقبلها استقبالاً خططت له الشياطين طويلاً ونجحت في نهايته لقد عبر لها عن مقدار فرحته بقدومها بأن جعلها إلهاً له فخر لها ساجداً ولكن. . كانت السجدة الأخيرة.

فشتان بين من يموت وهو ساجد لله وبين هذا الأخير الذي مات وهو ساجد لداعرة إن العقلاء تردعهم مثل هذه القصص وتخوفهم أمثال هذه النهايات ولكن!

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

وهنا رجل آخر تعلق بشاب فأحبه وأصبح جزءاً من حياته يعدل رضاه عنده رضا أهل الأرض جميعاً لقد شغفه هذا الفتىٰ حباً وأصبح عشقه له مضرباً للمثل فتندر به الناس، فضاق ذلك الشاب ذرعاً بحب هذا الرجل له فقرر أن يختفي عنه صيانة لدينه وحفاظاً على سمعته لأن شعاره: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ ﴾[1] فأصبح الرجل في حيرة من اختفاء محبوبه فمرض ونحل جسمه

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

واشتد ذلك عليه حتى ألزمه الفراش فعاده من رفاقه رجل يثق به، فشكى إليه حاله وأخبره بخبره، فتأثر من أجله وقال له: أنا كفيل بإحضاره لك وذهب إليه وقال له: إن فلاناً قد أعياه التعب من أجلك فلماذا لا تذهب إليه فلعل الله يزيل عنه ما به إن هو رآك فتأثر الغلام بالموقف ووعده بالزيارة فانطلق الصديق إلى صديقه يبشره، فزال عنه سقمه وعادت إليه قوته في هذه الأيام فإنه سوف ينظر إلى معشوقه «أسلم» فلما حان الوقت المعلوم والموعد المضروب تراجع الغلام عن الحضور في اللحظات الأخيرة عندما تذكر ربه وخاف على نفسه وقال لها: والله لا أقودك إلى ريبه، فذهب الصاحب إلى صاحبه حزيناً وقال له: إن أسلم قد انسحب في الطريق ورفض مقابلتك فعاد إليه سقمه ومرضه أسوأ مما كان بل بدت عليه علامات الموت وظهرت ثم قال في سكرته الأخيرة:

أسلم ياراحة البال العليل
ويا شفاء المدنف النحيل
رضاك أشهى إلى فؤادي
من رحمة الخالق الجليل

فقال له صاحبه: يافلان: اتق الله. قال: قد كان فقام عنه فما جاوز باب داره حتى سمع صيحة الموت. وهذه نهاية من كان هذا مذهبه وذاك هدفه.

ومما يذكر في هذا الباب أن رجلاً كان واقفاً بإزاء داره، فمرت

به جارية جميلة، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب وأشار إلى باب داره وكان يشبه باب الحمام. فدخلت ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه قد خدعها أظهرت له البشرى والفرح باجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا.

فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يغلق الباب، فأخذ ما يصلح ورجع فوجدها قد هربت ولم تخنه في شيء، فهام الرجل بها وأكثر ذكرها وجعل يمشي في الطرق والأزقة ويقول:

يـارب قـائلـة يـومـاً وقـد تعبـت
كيـف الطـريـق إلى حمـام منجـاب

فبينما هو يوماً يقول ذلك سمع جارية تقول:

هـلا جعلـت سريعـاً إذ ظفـرت بهـا
حـرزاً على الـدار أو قفـلاً على البـاب

فازداد هيمانه بها واشتد ولم يزل كذلك حتىٰ كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا.

فكيف يليق بالمسلم الذي يؤمل أن يكون آخر كلامه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله كيف يليق به أن يكون آخر كلامه من الدنيا المجون والغزل والشرك بالله «النظر سهم مسموم من سهام إبليس» فالنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان.

قال الإمام ابن القيم: النظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة فتولد الفكرة شهوة ثم تولد الشهوة إرادة.

كل الحوادث مبدؤها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها
كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد مادام ذو طرف يقلبه
في أعين الناس موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضَرَّ مهجته
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وقال ابن القيم:

مازلت تتبع نظرة في نظرة
في إثر كل مليحة ومليح
وتظن ذاك دواء جرحك و هو في
التحقيق تجريح على تجريح
فذبحت طرفك باللحظاء وبالبكاء
فالقلب منك ذبيح أي ذبيح

الشهوة تؤثر على قلب صاحبها وتجعله أسير الهوى شقياً بالمحبة.

وما في الأرض أشقىٰ من محبٍ
وإن وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكياً في كل حين
مخافة فرقة أو الاشتياق
فيبكي إن نأوا خوفاً عليهم
ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائي
وتسخن عينه عند التلاقي

هذه هي النهاية المتوقعة لأمثال هؤلاء البكاء والحسرة والندم وكما قال شيخ الإسلام في الفتاوىٰ: «من أحب شيئاً غير الله عذب به».

ومما يذكر في باب الشهوة أن رجلاً أحبَّ فتاةً نصرانية وكان حافظاً للقرآن فتنصر من أجلها فتزوجها، وبعد مدة لقيه أصحابه القدامىٰ فقالوا له: ماذا فعلت يافلان. قال: تنصَّرت. قالوا: وكيف القرآن معك؟ قال: نسيته إلا آية واحدة: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ ﴾[1].

فانظروا إلى هذا الأثر الخطير للاستسلام للشهوة والهوىٰ وكيف أدّى بأصحابه لمفارقة هذا الدين والملة، بل انظر إلى حامل القرآن هذا الذي تنصر كيف لم يردعه حفظه القرآن عن ذلك، فكفر بالله ونسي القرآن إلا آية تحمل شعوره وشعور الملايين من الكفار غيره

(١) سورة الحجر، الآية: ٢.

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ .

والنفــــس إن أعطيتهــــا منــــاهــــا

فــــاغــــرة نحــــو هــــواهــــا فــــاهــــا

وفي هذا المعنى يذكر ابن الجوزي في التبصرة بسنده عن أبي الأديان قال: كنت مع أستاذي أبي بكر الدقاق فمر غلام فنظرت إليه فرآني الأستاذ أنظر إليه فقال: يابني لتجدن غبها ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي ذلك الغب فنمت ليلة وأنا متفكراً فيه فأصبحت وقد نسيت القرآن.

فيالها من نهاية مأساوية لكل صاحب معصية.

والــــديــــن رأس المــــال فــــاستمســــك بــــه

فضيــــاعــــه مــــن أعظــــم الخسران

واغضــض جفــونــك عــن مــلاحظــة النســاء

ومحــــاســــن الأحــــداث والصبيــــان

إن الــــرجــــال النــــاظــــريــــن إلى النســــاء

مثــــل الكــــلاب تطــــوف بــــاللحمــــان

إن لم تصــــن تلــــك اللحــــوم أســــودهــــا

أكلــــت بــــلا عــــوض ولا أثمــــان

وقال ابن الجوزي في ذم الهوىٰ هذه الأبيات ونسبها إلى قيس بن الملوح:

قالوا جننت بمن تهوىٰ فقلت لهم
العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه
وإنما يصرع المجنون في الحين

وأيضاً مما يذكر في هذا الباب أن أديباً أولع بحب غلام نصراني يقال له عمرو بن حني من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقه فبدأ مدرك بن علي الأديب ينشد به الشعر حتى أخرجه من الملة ومن هذا قوله:

إن كان ذنبي عنده الإسلام
فقد سعت في نقضه الآثام
واختلاف الصلاة والصيام
وجاز في الدين له الحرام

ومنه:

ياليتني كنت له وصيفاً وله
أكون منه أبداً قريباً
أبصر حسناً وأشم طيباً
لا ماشياً أخشىٰ ولا رقيباً

وله من هذا كثير، ثم إنه زاد به الشغف وصار إلى التلف ولزم الفراش وذهل لبه وطاش، فحضره بعض أصدقائه عائداً، ولمودته رائداً، فوجدوه في حالة شنيعة وهيئة فظيعة فقال لهم: ألست

صاحبكم القديم، وصديقكم النديم، أفلا أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو فقد ضاع مني الأجل والعمر، فمضوا إلى عمرو مسرعين وعلى الإجماع بينهما مجمعين فأخبروه بالحال وأعلموه بما إليه مدرك قد آل، فلبس ثيابه مبادراً، ولجناب مدرك زائراً، فدخل عليه وسلم، وأخذ بيده وتبسم وقال: كيف تجدك ياسيدي؟ فهذه يدك في يدي، فنظر إليه البائس ثم غاب من فرط وجده، وفرحه بعابد الصليب وعظم المودة ثم أنشده شعراً ثم شهق شهقة فارق الدنيا:

قال الشاعر:

جسمك قد أفنيته بالحمىٰ
دهراً من البارد والحار
وكان أولىٰ بك أن تحتمي
من المعاصي حذر النار

وقال آخر:

أيضمن لي فتى ترك المعاصي
وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا
ولم يتجرعوا غصص المعاصي

وقال آخر:

العمر ينقص والذنوب تزيد
وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد
رجل جوارحه عليه شهود
والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي
تقليلها وعن الممات يحيد

وقال آخر:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقىٰ
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرىٰ
لا تحقرن صغيرة
إن الجبال من الحصىٰ

وقال آخر:

رأيت الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها

وقال آخر:

وهي لسان ثم فرج وبطن
يد ورجل ثم عين وأذن
ومن عصى بواحد منها فقد
فتح باباً من جحيم قد رقد

إنني عندما أتكلم في هذا الموضوع فإنني أتكلم عنه من حيث خطره الظاهر، ومع ذلك فالشباب غير عابئين به وهذا يعود إلى استهتار الشباب في قضايا الشهوة والنظر ولعل من أكثر الأسباب التي أدت إلى حدوث الانتكاس في هذا السبب ما ابتلي به أهل هذا العصر من الأجهزة المحرمة وما يبث فيها من مجون وسأتكلم عن جهاز واحد منها وهو:

الدّشّ:

يعتبر هذا الجهاز من أكبر المصائب التي بليت بها الأمة الإسلامية حيث ساهم هذا الجهاز في انتكاسات كثيرة عايشت بعضها. إن للشيطان وسائل متعددة في إدخال هذا الدش للبيوت حيث يبدأ بذريعة الاستفادة منه في الجانب الإخباري. والذي أجزم به أن كثيراً ممن أدخلوا هذا الجهاز لا يولون هذا الجانب أي اهتمام «أعني الجانب الإخباري».

وخطورة هذا الجهاز تنبع مما حرص أصحاب القنوات الفضائية

عليه من تقديم البرامج التي تحمل في طياتها الإغراءات الجنسية والأفلام الهابطة التي تحرك مكامن الشهوة عند الإنسان حتى أصبح مشاهديه أسرىٰ لهواهم فلم يعودوا يراعوا الأوامر الصريحة من الرب بغض البصر وكأن الأمر لا يعنيهم والخطاب موجه لغيرهم، وكم من شاب كان معتكفاً في المساجد أصبح معتكفاً عند هذه الأجهزة الخبيثة.

ولو تفكر هؤلاء بعواقب النظر ما فعلوه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[١]. وقد ورد في الحديث: «**اتق النظرة بعد النظرة**»[٢].

وورد في صحيح مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري».

إنني أقول لإخواني: إن المؤمن الحقيقي إذا جاءه الدليل والنهي الصريح ارتدع.

لقد حول هذا الجهاز الكبار إلى مراهقين وبعض الملتزمين إلى منتكسين، أعرف شاباً كان معنا على البر والتقوىٰ، رمزاً للداعية المصلح كان منظماً لوقته بذل كل الجهود لحفظ كتاب ربه، يقضي ليله قائماً ونهاره صائماً وفجأة دخل هذا الجهاز الخبيث إلى بيته

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٢) رواه مسلم، «كتاب الأدب، باب نظر الفجأة» (٢١٥٩).

وبذل كل الجهود لمنعه، ولكنه لم يستطع لقلة حيلته وضعفه وهوانه على أهله ومع مرور الأيام قاده هذا الجهاز إلى التجربة وقال له الشيطان: إن هذا الجهاز فيه خير وفائدة فخذ ما يفيدك ودع ما لا يفيدك، وبعد تردد فتح الجهاز وأغراه منظر جعله يتسمر!. ومن ذلك الحين لم يطق مفارقته فقد سحره هذا الجهاز وفرّط في صلاة الجماعة وأصبح يؤديها في البيت في الأوقات التي ليس فيها أفلام أو مباريات! ولايزال على وضعه نسأل الله لنا وله الهداية.

وآخر كان حافظاً للقرآن سقط كذلك أسيراً لهذا الجهاز الخبيث ففارق الصالحين والله المستعان.

وقبل طباعة هذا الكتاب هاتفني صديق لي وقال لي: إن الوضع الآن مزري وأعداد المنتكسين بسبب هذا الجهاز تتزايد ثم ذكر لي نماذج فتذكرت قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1] وقلت: إن هذا ابتلاء ولا شك فعلينا النصح والتذكير والله يفعل ما يشاء ويريد.

إن الأمر خطير جد خطير يجب أن لا نهونه في أعين الناس ويجب أن نذكرهم دائماً بما يحمله هذا الجهاز من ملذات وتحريك للشهوات وتضييع للأوقات ومفارقة للإخوان ولكن النهاية ماذا ستكون؟

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء لا مرد لها
لا خير في لذة من بعدها النار

٥ ـ الحنين للماضي وعدم القضاء على آثاره

إن من شروط التوبة الندم على ما فات والعزم على عدم العودة إليه وغيرها من الشروط ولكن هناك من يعود إلى الله دون أن يقضي على آثار الماضي بل هناك من يجعل ماضيه المليء بالمعاصي والذنوب والآثام ذكرىٰ جميلة وشريط ذكريات لا يمل منه بل بعضهم يتمنىٰ عودة تلك الأيام الخوالي لا لكي لا يكررها بل من أجل أن يزيد في فسقه وفجوره فأصبح الماضي بالنسبة له لذيذ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنىٰ ولكي أقرب المفهوم إلى الأذهان أذكر قصة أوردها الشيخ أحمد القطان في شريط له:

إن فناناً تاب وإلى ربه عاد، جالس الصالحين وعاش معهم فترة من الزمن يقول الشيخ:

وكنا نأمره بالقضاء على آثار الماضي ومن أهمها كسر العود وكان يعدهم خيراً بذلك ولكنه كان يتحرَّج من هذا الفعل وألح عليه أصحابه كسر العود ولكنه كان يسوِّف واستمر على وضعه هذا فترة ثم دخل يوماً من الأيام إلى غرفة نومه فشدَّه منظر العود وهو مهمل في أحد الزوايا قد أحاط به الغبار من كل جانب ثم كرر النظر إليه فحركت عنده الماضي ثم وجد نفسه بلا شعور منه تتجه

نحو هذا العود فاستلمه بيمينه وأماط عنه الأذى ثم بدأ بضرب موشحات دينية وكأنها حلال! وانساق وراء هذه الشهوة حتىٰ وجد نفسه بعد فترة من الزمن خارجاً عن دائرة الالتزام داخلاً في دائرة أهل الفسق والضلال.

ومما يدخل في هذا الجانب الحنين إلى أصدقاء الماضي وهذا هو أخطر ما يواجهه الشباب. ذكر أحد الفضلاء أن شاباً كان مولعاً بالغناء ثم عاد إلى الله وهجر أصدقاء الماضي وفي ليلة من ليالي العشر الأخيرة في رمضان اتجه إلى أصدقائه القدامىٰ في مخيمهم الذي يعرفه جيداً من أجل أن يصحبهم معه للمسجد لكي لا يخسروا فضل هذه الليلة فوجدهم في غيِّهم يعمهون فذكرهم بالله وأمرهم بالصلاة ولكنهم ذكروه بماضيه ومازحوه به فحرَّكوا أشجانه وأثاروا عواطفه حتىٰ وجد نفسه منساقاً إليهم ومدّوا إليه العود ليعيد لهم ذكر الماضي الجميل؟!

فبدأ بالغناء ولم يستيقظ من سكرته إلا على حرارة الشمس.

انظر إلى هذا الماضي كيف جعله يضحي بهذه الليلة الفضيلة ويجالس الأشرار إن هذه القصة وغيرها نذير خطر على من لم يتخلص من ماضيه إن الحنين إلى أصدقاء الماضي من أخطر ما يهدد الالتزام وللشيطان طرق منها: إيهامه بأن له قدرة على التأثير عليهم فيذهب إليهم من أجل النصح ولكن التجارب أثبتت أن من نصح أصدقاءه القدامىٰ دون أن يتسلح بالعلم فإنه ساقط إلا أن يشاء الله

لأنهم لا يملكون استعداداً للتقبل منك وإذا كنت جادًّا في هذا فعلاً فلا تذهب بمفردك واجعلها على فترات متباعدة لأن فيهم الخبثاء الذين إذا استمريت في القدوم عليهم ذكروك بماضيك وقد يجدوا وسائل لإقناعك بالعودة إليهم ومن وسائل التخلص من الماضي:

١ ـ تقوىٰ الله.

٢ ـ تذكر أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه وهذا من مستلزمات الصبر.

والآثار التي يجب على المسلم التخلص منها على سبيل المثال لا الحصر: الأشرطة سواءً فيديو أو غناء، وصور الرحلات سواءً كانت مباحة كصور الجمادات والنباتات التي ألتقطت معهم في رحلات سابقة. أو محرمة كصور الذكرى أو النساء أو ما شابه ذلك، وعليه أن يتخلص من كل ما يمت للماضي بصله، عليه أن يتخلص من أصدقاء الماضي ويضحي بجلساتهم ودورياتهم ولقاءاتهم.

أعرف شاباً استأجر مع زملائه استراحة كانت وكراً للفساد يقضون أوقاتهم فيها بلعب الكرة والبلوت وشرب الدخان ومشاهدة الأفلام والمباريات والغيبة والنميمة واللهو واللغو وكان إذا أخبرهم بأنهم على معاصي غضبوا عليه وقالوا لم يبق شيء إلا حرَّمتموه علينا!.

بل إنهم يتبجحون ويقولون: بأنهم على خير ويستشهدون بأنهم

يصلون ويصومون ولما ضاق بهم ذرعاً هجرهم وضحىٰ بما دفعه من إيجار لهذه الاستراحة فاراً بدينه ناجياً بنفسه وحاول بعضهم إقناعه بالعودة ولو للقاءاتهم الإسبوعية ولكن أبىٰ.

إن هذا النموذج وهذه الصورة مثال يحتذىٰ به لمن أراد أن يضحي بالماضي ويقضي على آثاره.

٣ ـ ابتعد عن كل ما يحرك مكامن الشهوة عندك فمثلاً.

إن كنت مولعاً بالرياضة ومشاهدة المباريات وتبت عن هذا، فافعل ما سيأتي:

أ ـ ابتعد عن المجالس التي تثار المناقشات الرياضية فيها.

ب ـ إن كنت في المدرسة فلا تجالس أصحاب الكرة في الفسح حتىٰ ولو كانوا أقاربك. لأن منهم من سيثيرك أو يجبرك للحديث عن الكرة أو يستشهد بك أو يطلب منك أن تذكره بالأحداث الرياضية وهذه قد تثير غريزتك الكروية وتعيدك إليها.

جـ ـ كما أنصحك بعدم قراءة الصفحات الرياضية خصوصاً لأنها ستحرص على استفزازك، بل قد تهوّل لك الأمور وتشدك إلى أخبارها فتجد نفسك بلا شعور قد عدت إلى الكرة.

د ـ اعلن هجرانك للكرة بكل صراحة ولا تتردد في إعلان ذلك في كل مكان يعرف أهله أنك صاحب كرة كي لا يثيروا الحديث معك.

* وإذا كنت صاحب فن فقاطع الصفحات الفنية خصوصاً بلا تردد لأنها قد تقدم تحليلاً لمسلسل أو فيلماً يشدك لمتابعته أو قد يعرض نصاً غنائياً يدعوك للاستماع إليه.

إن عدم التخلص من آثار الماضي سبَّبَ شرخاً في التزام كثير من الشباب.

ولا أنسى أن أقول إن هناك من يتذكر الماضي مستدلاً بحديث سمره إنا كنا نتذكر الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يستمع إلينا وربما يبتسم.

فأقول: إن ذكر الصحابة لأمور الجاهلية كان من باب المقارنة بين ما كانوا عليه من ضلالة وما هم عليه الآن من هداية كانوا يتذكرونها على أنها فترة سوداء مظلمة يتمنىٰ الواحد منهم أن يلقى في النار ولا يعود إلى ذلك الماضي.

إنهم إذا تذكروا الماضي زادهم إيماناً فإذا كنت مثلهم فافعل. وإلا فالنجاء النجاء.

٦ ـ عدم الإخلاص والصدق في الالتزام

هناك من يلتزم لتحقيق أهداف معينة وهناك من يلتزم ليصل إلى تطلعاته وهناك من يلتزم ليشتهر عند الناس، وعندما لا يحصل على مراده يترك هذا الطريق ويظنه الناس أنه قد انتكس وهو لم يلتزم أصلاً. فعلى من سلك طريق الالتزام أن ينكر ذاته ولا يمن، حتى يحقق أهدافه لذا ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليُرىٰ مكانه فمن في سبيل الله قال ﷺ: «من **قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(١)].

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يخافون من هذا الجانب حتى أن ابن مسعود طرد تلاميذه عندما تبعوه وقال: «إنه فتنة للمتبوع وذل للتابع».

فعلى من دخل في حقل الدعوة ألاّ يهتم بكثرة أتباعه أو تلاميذه أو يغتر بذلك، أو يجعله هدفاً له فإن مصيره ومآله إذا أراد ذلك إلى السقوط، وكم يتحسر المسلم عندما يرىٰ من يتركون صف الدعوة من أجل أنهم لم يحمدوا ولم يثن عليهم.

---

(١) متفق عليه البخاري ١/ ١٩٧ و٦/ ٢١، ٢٢ ومسلم (١٩٠٤) (١٥٠).

فعلى من سلك طريق الالتزام أن يخلص لله ويجعله هدفه وغايته ومبتغاه ومقصده، فلا تلتزم لتحظىٰ بقربةٍ عند أستاذ أو مكانه عند داعية، ولا تلتزم لتكون تابع لفلان متأثراً به إن سار تسير وإن توقف تتوقف.

أو تلتزم لتكون مشهوراً عند الناس مقرباً إليهم، ولا تلتزم من أجل أن يشار إليك بالبنان بل التزم لتكون كلمة الله هي العليا.

٧ ـ النفاق

قد يكون هذا السبب تكملة لما قبله ولكن لأهميته أفرده فالنفاق ظاهرة مرضية لم ينج منها مجتمع الرسول ﷺ ولم يسلم الرسول ﷺ من آثار هؤلاء المرضى وقصة الإفك خير شاهد علىٰ ذلك.

والمنافق قد يدخل الإسلام ويدعي الالتزام فيطيل اللحية ويقصر الثوب ليحصل علىٰ هدف وغرض معين، بل قد يبني المساجد ويشيدها وقد يؤم المصلين ويخطب بهم وما حادثة مسجد الضرار إلا دليلاً على ذلك.

وقد يعود الواحد من هؤلاء إلى وضعه الأصلي ويظن الناس أنه قد انتكس وأن الدعوة قد خسرته.

فهؤلاء يغرون الضعفاء ويثبطون العاملين وقد قال الله فيهم: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤٧﴾[١].

ولذا يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: القلوب الحائرة تبث الخور والضعف في الصفوف، والنفوس، الخائنة خطر علىٰ الجيوش، ولو

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

خرج أولئك المنافقون من الصف مازادوا المسلمين إلا اضطراباً وفوضىٰ، ولأسرعوا بينهم بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذيل، وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين، ولكن الله الذي يرعىٰ دعوته، ويكلأ رجالها المخلصين، كفىٰ المؤمنين فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين.

فهؤلاء يشكلون نقطة الضعف في البناء الداخلي المتماسك ويمثلون الداء الخبيث الكامن في الجسد، والطابور الخامس المتآمر الذي يمدُّ يده لكل عدو، المتربص بجند الحق، ولكن لن يكون حالهم بإذن الله أفضل من حال أسلافهم الذين قال الله فيهم: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1].

فسوف يأتي أمر الله في نهاية المطاف وستعلوا راية الحق وتسقط كل الرايات المشبوهة بإذن الله.

إذن علينا أن نعلم أن النفاق قد يتفشىٰ أمره وقد يؤثر على مسيرة الأمة وقد يفرق صفها ولكن لا يطول مكوثه ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾﴾[2].

وعلىٰ المسلم ألاَّ ينخدع بالمظاهر ومعسول الكلام ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥١.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٤.

٨ ـ ترك الالتزام بناءً على مواقف معينة

في ثنايا كتب التاريخ أحداث تبين شدة تمسك أصحاب النبي ﷺ بهذا الدين وأنهم قد عضوا على هذا الدين بالنواجذ وأن المواقف لم تغيرهم بل زادتهم ثباتاً وإصراراً على مبادئهم فما أكثر من ينتكس بناءً على بعض المواقف التربوية التي اتخذت بحقهم فأنف من ذلك وتضايق وهجر المجتمعات الطيبة بناءً على ذلك.

إن المواقف التربوية يجب ألا تعيق الشاب عن مواصلة مسيرته فهذا رسول الله ﷺ يتخذ قراراً ويأمر به وهو أن يهجر المجتمع كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، يخاطبون الناس ولا يردون عليهم بل وتأتي لكعب الإغراءات بالتحول عن هذا المجتمع الهاجر له ويأبىٰ ذلك، لماذا؟ لأنه صادق في إسلامه صادق في نيته عنده الاستعداد لتحمل آثار خطئه.

وقد يكون هذا السبب غريباً عند من لا يعرف مجتمع الشباب فأقربه له بأمثله.

قد يرتكب أحد الشباب أخطاء فيرىٰ الأستاذ أو المربي أن من مصلحة هذا الشاب أن يحرم من أشياء تأديباً له ومعالجة لخطئه.

اصبر على مـــر الجفـــاء مـــن معلـــم
فـــإن رســـوب العلـــم في نظـــراتـــه

ولكن الشاب لا يريد أن يتحمل هذه العقوبة فيهجر الشباب ومجتمعهم لأنه يرىٰ نفسه قد أهين وأن كرامته قد حطَّ منها وأذكر ههنا قصة وهي:

أن شاباً رأىٰ الأستاذ حرمانه من اللعب بناءً على أخطاء وقعت منه فما كان من هذا الشاب إلاَّ أن ترك الالتزام وهجر المجتمع الطيب بل والطريف أن هذا الشاب كان يكنىٰ قبل الحدث بأبي فلان وهو اسم الأستاذ المشرف عليه من شدة حبه له.

وانضم هذا الشاب إلى مجموعة من الأشرار وانقطع عن الدراسة وأصبح هماً علىٰ والديه كَلاًّ على إخوانه وأقاربه حتى منَّ الله عليه بهداية من عنده ولله الحمد.

قد يكون هناك شاب يكثر من التغيب عن الأنشطة المدرسية أو حلقة تحفيظ القرآن فيقوم المشرف عليه بحرمانه من رحلة من الرحلات أو نشاط من الأنشطة فيتعامل هذا الشاب مع هذا القرار تعاملاً عكسياً ويهجر مجتمع الطيبين، وكان عليه قبل أن يتخذ قراره أن يوجه لنفسه الأسئلة التالية:

١ ـ هل استحق هذه العقوبة التي وجهت له.؟
٢ ـ هل التزامه إرضاءً لربه أو للمشرف.؟
٣ ـ إلى أين سيتجه عند ترك الشباب الملتزم.؟

٤ ـ لنفرض أن ذلك القرار كان خاطئاً بحقه فهل يستحق رد الفعل هذا، أليس المشرف أو الأستاذ بشر يخطيء ويصيب، ثم إذا كان لا يحبك كما تقول هل تترك طريق الجنة من أجل شخص لا يحبك.

على الشاب أن يكون عاقلاً في قراراته وأن لا تأخذه العزة بالإثم وعليه أن يثق بأساتذته ومن يقوم علىٰ تربيته، وأنهم ما جعلوك تشاركهم أنشطتهم في المدرسة أو في الحلقة أو في غيرها إلا من حبهم لك ورغبتهم في الخير، أو اعتبر ما حصل لك بلاءً فتحمَّل نتائجه.

همسة

إنني أهمس في أذن الشاب وأقول له إذا كنت أخطأت فتحمل نتيجة خطئك، وكن لبقاً في التعامل مع من تظنه أخطأ عليك فإنه لا يخلو من أمرين:

أن يكون قراره صائباً فيكون ذلك من قبيل التربية لك وتعويدك على تحمل نتائج أخطائك، وأما أن يكون أخطأ في قراره فكن ذا صدر رحبٍ واسع وأحسن الظن واحتسب ما قابلك به عند الله تعالى. وقل لعله اجتهد فأخطأ.

٩ ـ الخطأ في التعامل من بعض المربين

إن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من أهم الأعمال التربوية لذا فعلى مدير المدرسة ألا يسلم النشاط إلا لمن هو أهل له وعلى إمام المسجد ألا يسلم تدريس القرآن إلا لمن هو أهل له كذلك.

لأن البعض ينخدع بالمظاهر البراقة ولا ينتبه لبعض الأمور الدقيقة المهمة كالقدوة الحسنة ورحابة الصدر ومعرفة التعامل مع من هم تحت مسئوليته وسعة العلم والاطلاع والتعقل وعدم التهور وأن يكون سنه مناسباً كي يسمع منه وأن يكون ذا شخصية قوية ملتزمة محافظة على الوقت ليس عند فوضوية وغيرها من الشروط التي لم أذكرها هنا وهذه الشروط مهمة جداً فعند افتقاد واحد منها قد يحدث هناك شرخ في الدعوة فإن المربي قد يخطيء فيكون نتيجة ذلك انفلات الطلاب وعدم التزامهم.

أمثلة من أخطاء المربين

* عدم وضع الفرد المناسب في المكان المناسب:

فمعلوم أن أي عمل له أنظمة اجتماعية وثقافية ورياضية وغيرها فعلى المربي أن لا يجعل مقياسه الوحيد كبر السن أو التفوق الدراسي أو غيرها من المقاييس التي يضعها بعض المربين فقد يكون الشاب متفوقاً في دراسته لكنه يفقد أي قدرة على التعامل مع الغير فتسلم له مسئولية الإشراف الثقافي مثلاً فيفشل في ذلك هو ومن معه، وتكون نتيجة ذلك انسحاب مجموعة من النشاط لعدم وجود الفرد المناسب الذي يستطيع استحواذهم وتقديم ما يفيدهم.

* قد يخطيء المربي في تقرير العقاب على الخطأ بحيث يكون الخطأ لا يستحق ذلك العقاب الجسيم أو العكس فتكون النتيجة من ذلك سلبية.

* وضع أنظمة وضوابط لا تراعي أحوال الناس، قد يتغيب طالب عن الحضور فلا يحسن المربي التعامل معه فيزيد من القسوة ضده مثلاً فلا يتحمل ذلك الشاب هذا وتكون النتيجة تركه للالتزام ثم يتحسر المربي ويندم على تصرفه، وكان الأجدر به قبل أن يقرر ما قرره بحق ذلك الشخص أن يعرف عقليته وأن يعرف كيف يتعامل

معه، وما مدىٰ قبوله لهذا القرار فما يعاقب به الشخص هو شيء تقديري من المربي يجب عليه معرفة الرادع منه لكل فرد، فهذا ينفع معه التقريع وذاك الهجران وآخر الإيقاف وغيره الحرمان من بعض الأنشطة أما وضع أنظمة معينة تسري على الجميع مع عدم ملاحظة الفوارق كمن يقول من غاب كذا فعقابه كذا ومن فعل كذا فعقابه كذا فهذا قد يجعل المربي في موقف حرج في بعض الأحيان لأنه قد يغيب شخص لا يستحق هذه العقوبة ولكن بحسب ما وضعه من نظام يجب أن ينفذها فيحرج مع الشاب إن نفذها ويحرج مع زملائه إن لم ينفذها.

* **هناك بعض الشباب يميل للعزلة والانفراد ولا يرغب في** المخالطة والممازحة فيجبره المشرف على هذا الشيء مما يؤدي به إلى الانعزال التام عن المجموعة، وكان الأجدر بالمربي مناقشته أولاً ومحاولة علاج مشاكله قبل أن يجبره على شيء ليس واجباً شرعياً ويتنافىٰ مع نفسية هذا الشخص ولا يرغبه.

وليس جميع الطلاب نسخة واحدة بل لابد من وجود الشواذ الذين يحتاجون إلى تعامل معين فعلىٰ المربي تحمل ذلك.

* عدم التفريق بين الكبار والصغار في العقوبة:

بعض المربين يهمل النواحي النفسية فكبير السن قد يخطيء وقد يكون المشرف قاسياً في التعامل مع خطئه فيقرعه أمام زملائه الأصغر منه سناً وهذا التقريع قد يأتي بآثار عكسية على هذا الشاب.

فمثلاً يتأخر أحد الكبار عن حضور درسٍ ما فيوبخه المشرف أمام زملائه ليظهر لهم المساواة بينهم وبينه، وهذا الشاب قد تكون مناقشته على انفراد أجدى وأولى.

وذكر لي أحد الفضلاء هذه القصة وهي أن مجموعة من الشباب سافروا إلى منطقة من مناطق المملكة، وأصدر المشرف أوامره بأن هذا الوقت للبرنامج الفلاني «لعله الراحة إن لم تخني الذاكرة» ولكن المشرف عَلِم بأن مجموعة من الشباب لم يلتزموا بهذا القرار وبينهم شاب في المرحلة الجامعية فأصدر بحقهم عقوبة وهي الوقوف بطريقة مبتذلة مضحكة، فنفذها الصغار ولكن الشاب الجامعي قال: لعلك تعفو عني هذه المرة. فأبىٰ، فحاول معه أن لا يحرجه بذلك فأبىٰ فما كان من ذلك الشاب إلا أن قرر عدم الانصياع للأمر وترك المجموعة وغادر المنطقة بسبب هذا التصرف الأرعن.

وذكر لي أحد الشباب أن أحد المربين أصدر عقوبة بالهجران لشاب لأنه رفض أن يلقي قصيدة شعرية فكادت هذه العقوبة أن تكون سبباً في انحرافه.

وأذكر أن أحد الشباب كان في مخيم واستيقظ قبل الفجر ليذهب لمسجده ليؤم المصلين فيه، فوجد مجموعة من الشباب فأخذهم معه بدون إذن المشرف الذي كان يرمقهم من بعيد حتىٰ حرك الشاب «وهو جامعي ورجل عاقل» سيارته فأوقفه وأنزل الطلاب من السيارة بطريقة لا تخلو من القسوة فتأثرت نفسية ذلك الشاب وكاد

أن يترك هذه المجموعة من أجل ذلك الموقف.

وهذا لا يعني أنني أقر الجميع على أخطائهم وأرفض معاقبتهم ولكن أقول اختيار الوقت المناسب والعقاب المناسب أمرٌ لابدَّ منه. فمثلاً ذلك الشاب الذي ذهب للصلاة في المسجد وحمل معه بعض الشباب كان على المشرف أن يكلمه على انفراد ويبين له خطأه ويسمح له بالذهاب مع تعهده بعدم العودة لمثل ذلك، أو يقوم بإنزال من معه بحجة أنه بحاجة إليهم الآن ولابدَّ لهم من حضور البرنامج ويخشىٰ عليهم من التأخر وغير ذلك.

* عدم مراعاة الظروف:

بعض المربين يطالب الشاب أن يكون على وتيرة واحدة ولا يسمح له بأي حالٍ من الأحوال أن يترك هذه الوتيرة التي اعتاد عليها.

فلو تأخر يوماً من الأيام لعاقبه دون أن يعرف سبب غيابه، وقد يخفي الطالب الأسباب الحقيقية لكن المربي الفطن هو الذي يستطيع معرفة ذلك من خلال خبرته ومعرفته بأحوال من عنده. والإنسان لديه ظروف اجتماعية ونفسية ومالية وصحية وغير ذلك فبعض المربين لا يراعي أي شيء من ذلك والمهم عنده حضور الطلبة بغض النظر عن أية مفاسد أو أي ظروف تترتب على ذلك.

وأذكر أن أحد الطلبة طلب من الأستاذ أن يتغيب أول العصر لكي يعمل في هذا الوقت حيث أن بعض الطلاب يكون وحيد

أبويه أو هو القائم على شئونهما وعلى البيت ككل، فالمربي اللبق هو الذي يدرك هذا ويراعي تلك الجوانب كلها.

* عدم مراعاة الفروق الفردية:

فالذكاء والفطنة تتفاوت من شخص لآخر وعوامل الإبداع الكامنة في النفس كذلك هي تختلف من شخص لآخر. فكلٌ يبدع بحسبه وكلانا على خير كما قال الإمام مالك رحمه الله وهنا يظهر عيب بعض المربين الذي يطالب من عنده أن يكونوا في مستوى واحد لا يتخلف عنه أي شخص وهذا ربما يكون من المستحيل بل هو من المستحيل.

* الأمثلـــــة:

قد يكون هناك من يبدع في طلب العلم، لكنه لا يفقه شيئاً في الأمور الاجتماعية مثلاً فمن الصعب تكليفه بمثل هذه الأمور.

وأُثر عن الشافعي قوله: لو اشتريت بصلة ما فهمت مسألة. وهذا لا يعني أن الإنسان لا يبدع إلا في مجال واحد فقط بل إن الأصل أن يحاول الإنسان الإبداع في كل الأمور أو في أكثرها بحسب قدرته، والرسول ﷺ كان موجهاً للأمة وقائداً للجيش ومثلاً أعلىٰ في تعامله مع أهله وهو أحسن الناس خلقاً وغير ذلك حيث تتوفر فيه جميع الصفات الحسنة.

فلا يتصور القاريء الكريم أنني أقول من سلك طريق العلم فعليه بترك خدمة إخوانه والاستكبار عنهم، لكن يكون مثل هذا

عندما يعلم المربي أن هذا الطالب لا يمكنه أن ينجح في هذا المجال وأنه بذل ما في وسعه لينجح في ذلك لكنه فشل فعليه أن لا يحمله ما لا يطيق و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. وبعض الشباب قد لا يستطيع حفظ القرآن الكريم ولا يستطيع البحث ولكنه مبدع في خدمة إخوانه لا يتأفف من ذلك ولا يضجر منه وعنده رغبة فيه، فعلى المربي أن يشجعه على ذلك وأن يحسن استغلاله من هذا الجانب الطيب. وأذكر أن أحد الشباب حاولت معه مراراً أن يحفظ بعض السور وتابعته شخصياً لكن لم يجدي ذلك مع أنه بذل كل ما في وسعه، ولكن هذا الشاب لو طلبت منه أن يسافر لخدمة إخوانه من الرياض إلى مكة عشر مرات في اليوم «وهذا من باب المبالغة» لما رفض ولما توانى فلماذا تحرم الصحوة من هذه الطاقات بسبب أخطاء بعض المربين.

إنني أؤكد ههنا على التفاوت بين الأشخاص وأنه ليس بمقدور كل شخص أن يبدع في جميع المجالات، فلا تحرم الصحوة ممن لا يبدع في طلب العلم ولكنه يحب خدمة إخوانه ولا تحرم ممن لا يحب خدمة إخوانه ولكنه يرغب في مماشاة الصالحين والجلوس معهم ولا تحرم من أي شخص عنده إبداع في أي مجال كان، ولنا أسوة حسنة في مجتمع رسول الله ﷺ حيث تتعدد المواهب والإمكانات كل بحسبه فهذا قائد عظيم، وذاك قاضٍ عادل، والآخر شاعر فحل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

والرابع خطيب مفوه، والخامس ذو رحمة وقلب طيب تجاه إخوانه والسادس صاحب حياء وخجل والسابع والثامن وهكذا...

* عدم التمييز:

وذلك أن بعض المربين يرفع شعار العدل والمساواة فالكل عنده سواسية كأسنان المشط، من يحفظ كمن لا يحفظ، ومن يعمل كمن لا يعمل، وطالب العلم كغيره ممن لا يعرف العلم وهكذا...

وهذا مردود بلا شك فالله سبحانه وتعالى قضىٰ بالتمييز وإعطاء كل ذي حق حقه ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[1]. هذا لا يمكن فالبارز يجب أن يشكر على بروزه وأن يميز أمام زملاءه وأن يحظىٰ بمزيد رعاية واهتمام وذلك لزرع روح التنافس وبث الحماسة في أفئدة الشباب، وهذا رسولنا ﷺ كان يقرب الصديق وعمر علىٰ غيرهما من الصحابة وعمر رضي الله عنه كان يقرب القراء علىٰ غيرهم وكان يقرب معهم ابن عباس على صغر سنه كما هو معلوم، ولو استطردت بذكر النماذج لطال بي المقام.

لذا أشدد وأقول بأن عدم التمييز قد يقتل طموح الشباب ويجعلهم يقفون عند درجة معينة حتىٰ يخلق الإيمان في أجوافهم، ومن ثم يحصل الانتكاس ـ والله المستعان ـ.

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٨.

وأذكر هنا أنه كان لي نقاش مع بعض الأخوة الفضلاء حول هذه القضية فكنت أرىٰ أن يعطىٰ للشباب المتميزين بعض الدروس المكثفة تختلف عما يأخذه زملاؤهم الآخرين. وقلت: إن من حفظ القرآن وأحسن تلاوته وتجويده ليس بحاجة إلى معرفة أحكام النون الساكنة والتنوين التي علمها وحفظها عن ظهر قلب، ولكن أولئك الأخوة أصروا على أن يأخذ طالب المرحلة المتوسطة ما يأخذه زميله الجامعي حتى لو كان في ذلك بخس لحق ذلك المتوفق الذي أنهىٰ حفظ القرآن وتجويده مراعاة لنفسية زملاءهم وحتىٰ لا يشعروا بتميز أولئك عنهم وعدم العدل بينهم.

واستمر هذا الجدل العقيم معهم حول هذه المسألة وناقشت غيري من أفاضل طلاب العلم، واستغرب مثل هذه المفاهيم، بل إن أحدهم طلب مني أن أعطيه هذه الملاحظات ليجعل منها درساً علمياً تربوياً للشباب.

فكم قتل عدم التمييز طموح الشباب وأوقفهم عند حدٍ معين وفي المقابل يجب ألا يكون هناك تفريط في هذا الجانب فلا يميز إلا من أبدع علمياً فقط ويترك الذي يبدع في المجالات الأخرى كخدمة الإخوان والمسابقات والبحوث والحضور وغير ذلك كما سبق بيانه.

* **اعتقاد بعض المربين أنه وصل للقمة وأنه تعدىٰ** مرحلة النقد وأن من هو تحت إشرافه أصغر من أن يلاحظ عليه ملاحظة ما،

ولو فعل ذلك أحدهم ونبه المشرف إلى خطأ لاحظه عليه لاستشاط غضباً، بل ربما قام بطرده لأنه جريء في نقده ومناقشته، وما علم هذا المسكين أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يستفسرون من الرسول ﷺ بعض الأمور فإن كانت وحياً التزم الصمت وإن كانت اجتهاداً بشرياً عرض وجهة نظره، وكم غير الرسول ﷺ رأيه رضوخاً لرغبات أصحابه التي لا تخالف الشرع كما في النزول يوم بدر، وعدم إعطاءه اليهود جزءاً من ثمار المدينة، والخروج إلى أحد لملاقاة المشركين وغيرها من المواقف الكثيرة.

ولكن بعض المربين يتعامل مع الناقد تعاملاً دكتاتورياً يخلو من المنهجية والتربية الصحيحة التي تقبل المناقشة وذكر الأخطاء والمناصحة.

ويذكر فتحي يكن في كتابه «المتساقطون» أن أحد الشباب عندما أسند له عمل معين ولم ينجح في هذا العمل ورأى المشرف عليه إبعاده ترك حقل الدعوة بسبب هذا.

* خشية المناقشة:

بعض المربين يقتل طموح الشباب حتى لا ينافسوه على قيادة الشباب فيطرد كل مبدع «ويطفش» كل كبير حتى يكون شعاره:

خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

وأقول له:

أوردها سعد وسعد مشتمل

ما هكذا تورد ياسعد الإبل

وخلاصة ما سبق أن هذه بعض الأمور التي قد يقع بها بعض المربين فتؤدي إلى انسحاب الشباب من حقل الدعوة بشكل أو بآخر. وهي أخطاء بعضها بسيط يمكن معالجته، وأحسب أن القائمين على تربية الشباب على درجة من الوعي لإدراك مثل هذه الأخطاء ومعالجتها والله الموفق.

١٠ ـ عدم تحمل الأذى في سبيل الله

هناك من يسلك طريق الدعوة ولم يجعل في باله قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾(١).

إن الفتنة في طريق الدعوة سنة إلهية ماضية، كما هو معلوم عند من آمن بربه وعلم سننه في هذه الحياة الدنيا.

إن على من سلك هذا الطريق أن يتحمل تبعاته ومصائبه وأهواله.

فيه المصائب والمكاره جمة
لكن ما هو ليس منه بديل

إن طريق الدعوة ليس سهلاً ممهداً بل به الأوحال والأشواك والعقبات منها ما نال خير هذه البشرية ﷺ الذي خاص عشرات المعارك لإعلاء كلمة الله بل إنه أصيب في بعضها وسالت دماؤه ﷺ من جراء ذلك وهو صابر محتسب في سبيل الله، وأصحابه رضوان الله عليهم نالهم ما نالهم وأصابهم ما أصابهم ما ردهم ذلك عن دينهم شيئاً.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١ و٢.

والتاريخ مليء بأخبار من ضحىٰ بنفسه في سبيل الله من أجل المحافظة على دين الله، وسوف أذكر بعض القصص والأخبار ليرىٰ الواحد منا مكانه أمام هؤلاء الأبطال والرجال الأفذاذ ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[١] فلا يمكن للتاريخ أن ينسىٰ ما تعرض له بلال ـ رضي الله عنه ـ من تعذيب تحت وهج الشمس في صحراء مكة ورمضائها، وما تعرض له آل ياسر من التعذيب حتىٰ قتل ياسر وامرأته سمية رضي الله عنهما، وقبل هذا يجب ألا ننسىٰ ما تعرض له رسول الله ﷺ فهو أعظم من ابتلي في سبيل دعوته لذا قال ﷺ: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة»**[٢].

وهذه بعض الصور من ابتلاء رسول الله ﷺ:

عن عبدالله بن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبوجهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبوجهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقىٰ القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) صحيح الجامع ١/ ٢٣١ الحديث ٩٩٣.

وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضىٰ النبي ﷺ صلاته رفع رأسه، ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: اللهم عليك بقريش «ثلاث مرات»، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك. وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**» وذكر السابع ولم أحفظه» فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر. ثم سحبوا إلى القليب. قليب بدر[1].

ومما تعرض له ﷺ: حرب القطيعة: وحبسه هو وأصحابه وعشيرته في الشعب لمدة سنتين.

وكذلك ما تعرض له في الطائف من ضرب ورمي بالحجارة وتحمل الشدائد.

ومن صور الابتلاء ما تعرض له إبراهيم عليه الصلاة والسلام من رمي بالنار وأمر بذبح ابنه قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين حديث (١٧٩٤) باب (٣٩) جـ١٢.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾(١).

قال ابن كثير: وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر جلده وصبره وعزمه في صغره على طاعة الله.

ومما تعرض له إبراهيم عليه السلام وضع أهله وولده في مكان ناءٍ وقد روى البخاري عن ابن عباس قال: إن أول من سعى بين الصفا والمروة لأم إسماعيل وإن أول من أحدث نساء العرب جر الذيول لمن أم إسماعيل قال: لما فرت من سارة أرخت ذيلها لتعفي أثرها، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بها إلى موضع البيت، فوضعهما ثم رجع، فاتبعته فقالت: إلى أي شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ فجعل لا يرد عليها شيئافقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. قال: فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فدعا فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ۝٣٧﴾(٢) قال: ومع الإنسانة شنه فيها ماء، فنفذ الماء فعطشت وانقطع لبنها، فعطش الصبي، فنظرت أي جبل أدنى من الأرض، فصعدت بالصفا، فتسمعت هل تسمع صوتا،

---

(١) سورة الصافات، الاية: ١٠٢.

(٢) سورة إبراهيم، الاية: ٣٧.

أو ترىٰ أنيساً؟ فلم تسمع فانحدرت، فلما أتت على الوادي سعت وما تريد السعي كالإنسان المجهود الذي يسعى وما يريد السعي، فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض، فصعدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتاً، أو ترىٰ أنيساً، فسمعت صوتاً، فقالت كالإنسان الذي يكذب سمعه: صه، حتىٰ استيقنت، فقالت: قد أسمعتني صوتك فأغثني، فقد هلكت وهلك من معي، فجاء الملك فجاء بها حتىٰ انتهى بها إلى موضع زمزم، فضرب بقدمه ففارت عيناً فعجلت فجعلت في شنها فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً**»[1].

إن هذه بعض الصور من الابتلاء التي تعرض لها الأنبياء والرسل والصالحين ومع ذلك لم يثنهم ذلك عن الدعوة وسوف أكتفي بهذا القدر من صور ابتلاء الأنبياء.

ومن صور الابتلاء ما تعرض له عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من مشركي قريش عندما جهر بالقرآن في أنديتهم بسورة الرحمن فقام إليه المشركون وضربوه حتى ظهر أثر الضرب على وجهه ومع ذلك قال لأصحابه: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون.

---

(١) تفسير القرطبي ٧/ ٤٦١.

وما تعرض له أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ عند رفع صوته بكلمة التوحيد من ضرب وأذىٰ.

وتظل قصة خبيب بن عدي من أعجب الحوادث حيث كان في سرية عاصم بن ثابت بغزوة الرجيع حيث تبعهم بنو لحيان بن عسفان ومكة، فاقتفوا آثارهم وقاتلوهم، ووقع خبيب بن عدي في الأسر فانطلقوا به، وباعوه بمكة لبني الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر، فخرجوا به ليقتلوه فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن ترون أن ما بي جزعاً من الموت لزدت فكان أول من سن ركعتين عند القتل.

ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً ثم قال:

ولســـــت أبـــــالي حين أقتـــــل مسلمـــــاً
على أي جنـــــب كـــــان في الله مصرعـــــي
وذاك في ذات الإلـــــــه وإن يشـــــــأ
يبـــــارك علىٰ أوصـــــال شلـــــو ممـــــزع

ولعل ما تعرضت له عائشة رضي الله عنها من تهمة الزنا من أشد ما يلقاه الدعاة حيث شوهت صورتها وتناقل الناس خبرها حتىٰ تأثر بقوة إعلام المنافقين صحابة أجلاء، ومع ذلك صبرت رضي الله عنها، حتىٰ برأها الله من هذا الإفك العظيم. وهذا مصير

كل داعية فهو معرض للتشويه والإيذاء القوي المركز فعليه ألا يفتر عزمه وألا يوقف دعوته بناءً على ما يسمعه أو ما يتعرض له من أذى وسب وشتم وله فيمن سبق أسوة حسنة وسأذكر بعض المواقف الإيمانية حتىٰ يزداد الداعية رسوخاً وثباتاً:

قال الأستاذ/ عبدالله ميرغني صالح في كتابه (الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم)، عما تعرض له سحرة فرعون وأصحاب الأخدود ما يلي: [حقاً إن العقيدة السليمة إذا رسخت في النفوس وتمكنت من القلوب لا تزحزحها جميع قوى الشر والعدوان، ولا ألوان المحن والشدائد والآلام، يبدو ذلك واضحاً في ثبوت سحرة فرعون على الإيمان عندما تلقوا تهديد فرعون ووعيده بالتعذيب والقتل والصلب. قال تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1] ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٢٠ إلى ١٢٦.

وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[2].

يتضح لنا من هذه الآيات الكريمة أن استسلام سحرة فرعون لرب العالمين وإعلان خضوعهم لله تبارك وتعالى وإقرارهم بالوحدانية له كان مفاجأة خطيرة لفرعون، أسقطت هيبته وهزت سلطانه وزلزلت عرشه، ولذلك فهويكاد يتميز من الغيظ، ويحاول السيطرة على الموقف بالمكر والخداع، والنفاق واستعمال القوة الغاشمة، فينكر على السحرة مسلكهم ويتهمهم بعدم الإخلاص له والتآمر عليه والخروج عن حدود طاعته، ثم يهددهم بالعذاب والتنكيل بعد التهويل فيما ينتظر من القتل والتصليب فيتوعدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ثم شدهم مصلوبين على جذوع النخل، أمثولة وامتهاناً لهم وعقاباً أليماً، لكي يصبحوا عبرة للآخرين جزاءً على إيمانهم بالله العظيم. قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا

(١) سورة طه، الآيات: ٧٠ إلى ٧٣.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٤٦ إلى ٥١.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١] ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾[٢].

ولكن السحرة الذين آمنوا بربهم أصبحوا أصحاب عقيدة سليمة وأصبحت قلوبهم خاشعة للحق عامرة بالإيمان حتى سكب هذا الإيمان الطمأنينة في نفوسهم ومن ثمَّ لم يكترثوا بتهويل فرعون وتهديده ووعيده، ولم يفزعوا ولم يتزعزعوا ولم يخضعوا لفرعون، ولم يخنعوا له، ولم يختاروه على ما جاءهم من العلم واليقين، بل استعلوا على قوته، واستهانوا ببأسه وبطشه وجبروته فصدعوا بالحق في وجهه. إنهم وجدوا حلاوة الإيمان فكان الله ورسوله موسىٰ أحبَّ إليهم من الدنيا وما فيها، ولهذا فضلوا الثبات على الإيمان مع تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف مع التصليب والعذاب والموت والاستشهاد على العودة إلى الكفر والفسوق والعصيان. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾[٣] ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢٣ و١٢٤.
(٢) سورة طه، الآية: ٧١.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٥٠.

مُسْلِمِينَ﴾(١) ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٢) ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)

وهكذا واجهت نفوس هذه الفئة المؤمنة الأذى والكرب والضيق والتعذيب فاستعلوا بقوة العقيدة على ذلك كله، ورغبت قلوبهم في جوار الله تعالىٰ واعتصمت به، ورغبت عما يملك فرعون من الدنيا وزخرفها ومتاعها، ثم أقبلوا صابرين محتسبين علىٰ التنكيل والتصليب فنفذ فرعون ما هددهم به، واتبع في ذلك أشد أساليب العقاب قسوة، وأبعدها عن معنىٰ الكرامة والإنسانية، فقتلهم شر قتلة ثم صلبهم علىٰ جذوع النخل فماتوا شهداء أبراراً رضي الله عنهم.

من السنن الربانية الجارية أن يتعرض المؤمنون للأذىٰ والمحن والمكائد لامتحان إيمانهم وتحقيقه ولكشف الصادقين والكاذبين بالفتنة والبلاء، ولعل البطش بأصحاب الأخدود المؤمنين كان لوناً من تلك الفتنة وصنفاً من هذا البلاء، فهم كما يبدو وقد تعرضوا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦.
(٢) سورة طه، الآيتان: ٧٢ و٧٣.
(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٥٠ و٥١.

للأذىٰ والموت حرقاً بأيدي أعدائهم البغاة الطغاة المفسدين الذين أرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ويتركوا عقيدتهم ولكن المؤمنين وقفوا بإيمانهم كالجبال الشم، متحدين الطغاة البغاة القساة الشريرين مستعدين لكل شر يصيبهم في سبيل الله علىٰ الرغم من أنهم لم يجدوا النصير الذي يساندهم ويدافع عنهم، ولم يملكوا النصرة لأنفسهم ولا المنعة، ولم يجدوا القوة التي يواجهون بها الطغيان فضحوا بحياتهم راضين واحتملوا العذاب والألم ثابتين صابرين مطمئنين، من أجل انتصار عقيدتهم ولإيثار رضوان الله تبارك وتعالى على متع الحياة الدنيا الفانية في ظل العبودية والارتداد عن الدين قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١﴾[1] وقد اختلف المفسرون في أهل هذه القصة من هم؟ ولعل أصح الأقوال هو ما رواه مسلم عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلاماً أعلمه السحر فبعث**

---

(١) سورة البروج، الآيات من ١ إلى ١١.

إليه غلاماً، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتىٰ الساحر مرَّ بالراهب، وقعد إليه فإذا أتىٰ الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتىٰ أهله ضربوه، فشكا ذلك إلى الراهب. فقال: إذا جئت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا جئت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتىٰ على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجراً ثم قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، فمضىٰ الناس فأتىٰ الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرىٰ وإنك ستبتلىٰ فإن ابتليت فاصبر، فلا تدل علي، فكان الغلام يبريء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هنالك أجمع إن أنت شفيتني قال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتىٰ الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي عزوجل قال: أوَلك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتىٰ دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبريء به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، قال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم

يزل يعذبه حتىٰ دلَّ علىٰ الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبىٰ فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتىٰ وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبىٰ فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبىٰ فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور إلى لجه بمركز فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه في البحر، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا فجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: مافعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتىٰ تفعل ما آمرك. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثاً، فأتى

الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخدت وأضرم بها النيران، وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم، قال: ففعلوا حتىٰ جاءت امرأة معها صبي، فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: ياأماه اصبري فإنك على الحق»[(١)] .

فهذا الحادث كما جاء في القرآن الكريم حادث بشع مفجع استحق فاعلوه نقمة الله وغضبه ولعنته فقد بطش هؤلاء الطغاة المتجبرون بالمؤمنين والمؤمنات واشتدوا في إيذائهم حتىٰ شقوا لهم الأرض شقاً عظيماً كالخندق وملأه بالحطب الجزل ثم اشعلوا فيه النار وقذفوهم فيها ولم تأخذهم بهم رأفة وكانوا قاعدين على حافة الأخدود ليتشفون برؤية ما يحل بالمؤمنين من فتنة النار والحريق ومع هذا فقد صبر المؤمنون على الأخرى ورضوا بعذاب الدنيا عن العودة إلى ملة الكفر والضلال ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾[(٢)] .

فتمسكوا بدينكم ياشباب الإسلام واحذروا من السقوط عند المواجهة واقبضوا على دينكم وعضوا عليه بالنواجذ وتحملوا ما تحمله الطراز الأول والسلف الصالح مما قد لا يصيبكم جزء منه في

---

(١) رواه مسلم كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٣٠٠٥) ٤/٢٢٩٩ .

(٢) سورة البروج، الآيات: ٤ ـ ٦ .

هذا العصر الذي توجد به ابتلاءات عديدة منها:

السجن ـ التعذيب ـ الشائعات ـ البهتان والظلم والتهم.

القدح والتنقيص من القدر ـ التخويف والتهديد.

الفصل من الأعمال ومحاولة قطع الأرزاق.

وكل ما سبق ياأخي وغيره كثير يعدُّ هيناً في سبيل الله وإرضاءً له وطلباً لجنته، وما على الشاب إلا أن ينظر في تاريخ الأمة ـ الإسلامية ـ فترتفع معنوياته بإذن الله ـ تعالى ـ وعليه ما يلي: .

١ ـ أن يبتعد عن الفتنة بقدر المستطاع.

٢ ـ أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٣ ـ أنه يعلم أن لو ضحىٰ بدينه خوفاً من عذاب الدنيا فإن وراءه عذاب الآخرة ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٢٧﴾[1]

٤ ـ أن يعلم أن هذا الابتلاء ربما كان بسبب ذنوبه فعليه أن يتحمل ما يترتب عليه.

٥ ـ اللجوء إلى الله ـ تعالى ـ والاعتماد عليه.

٦ ـ أن يستن بمن مات وأن يسلي نفسه بذكر ربه.

٧ ـ أن يصبر ويحتسب.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٧.

قال سيد قطب:

أخي أنت حر وراء السدود
أخي أنت حر بتلك القيود
إذا كنت بالله مستعصماً
فماذا يضيرك كيد العبيد
أخي ستبيد جيوش الظلام
ويشرق في الكون فجر جديد
فأطلق لروحك إشراقها
ترىٰ الفجر يرمقنا من بعيد
أخي قد أصابك سهم ذليل
وغدراً رماك ذراع نكِيل
أخي قد سرت من يديك الدماء
أبت أن تشل بقيد الإماء
سترفع قربانها... للسماء
مخضبة بوسام الخلود
أخي هل تُراك سئمت الكفاح
وألقيت عن كاهليك السلاح
أخي هل سمعت أنين التراب
تدك حصاه جيوش الخراب

تمـــزق أحشـــاءه بـــالحـــراب
وتصفعـــه وهـــو صلـــب عنيـــد
أخـــي إننـــي اليـــوم صلـــب المـــراس
أدك صخـــور الجبـــال الـــرواس
غـــداً ســـأشيـــح بفـــأس الخـــلاص
رءوس الأفـــاعـــي إلى أن تبيـــد
أخـــي إن ذرفـــت علي الـــدمـــوع
وبللـــت قبري بهـــا في خشـــوع
فـــأوقـــد لهـــم مـــن رفـــاتي الشمـــوع
وسيروا بهـــا نحـــو مجـــد تليـــد
أخـــي إن نمـــت نلـــق أحبـــابنـــا
فـــروضـــات ربي أعـــدت لنـــا
وأطيـــارهـــا رفـــرفـــت حـــولنـــا
فطـــوبـــى لنـــا في ديـــار الخلـــود
أخـــي إننـــي مـــا سئمـــت الكفـــاح
ولا أنـــا ألقيـــت عنـــي الســـلاح
وإن طـــوقتنـــي جيـــوش الظـــلام
فـــإني على ثقـــة... بـــالصبـــاح
وإني على ثقـــة مـــن طـــريقـــي
إلى الله رب السنـــــــا والشروق

فإن عافني السوق أو عقني
فإني أمين لعهدي الوثيق

أخي أخذوك على إثرنا
وفوج على إثر فوج جديد

فإن أنا مت فإني شهيد
وأنت ستمضي بنصر جديد

قد اختارنا الله في دعوته
وإنما سنمضي على سنته

فمنا الذين قضوا نحبهم
ومنا الحفيظ على ذمته

أخي فامض لا تلتفت للوراء
طريقك قد خضبته الدماء

ولا تلتفت ههنا أو هناك
ولا تتطلع لغير السماء

فلسنا بطير مهيض الجناح
ولن نستذل ولن نستباح

وإني لأسمع صوت الدماء
قوياً ينادي الكفاح الكفاح

سأثأر لكن لرب ودين
وأمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام
وإما إلى الله في الخالدين

ولعلي أن أذكر في نهاية حديثي عن الابتلاء قصة الإمام الشهيد أبوبكر محمد بن أحمد المعروف بابن النابلسي تلك القصة التي فيها من العبر الشيء الكثير لمن يعتبر من صبر هذا الإمام وجلده وصدعه بالحق وثباته عند موته.

قال أبوذر الحافظ: سجنه بنو عبيد، وصلبوه على السنة سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾[١].

وقال أبوالفرج بن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبابكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهماً وفينا تسعة، قال: ماقلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجبَ أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضاً، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهودياً فسلخه، وبعد السلخ حُشي تبناً وصلب. وسُلخ رحمه الله من مفرق رأسه حتىٰ بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاخ فوكزه بالسكين

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

موضع قلبه فقضىٰ عليه - رحمه الله تعالى - رحمة واسعة وأدخله نسيم جناته آمين.

- استطراد[١] -

عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوىٰ ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبوبكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[٢][٣].

---

(١) فاتني أن أذكر هذه القصة فيما سبق من ابتلاء النبي صلى الله عليه وسلم وأذكرها ههنا٨

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٣) البخاري مع الفتح في كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ من المشركين بمكة ١٥٦/٧. وذكره في مواضع أخرى.

١١ - استعجال النصر وانتظار قطف الثمر

هناك من يسلك هذا الطريق ويقول: إذا كان هذا الطريق هو الذي ارتضاه الله لعباده فلابد أن يكون النصر حليفه وهو كما قال، ولكن هذا القول يعتبر من استعجال النتيجة وما علم أن المعركة بين الحق والباطل قد تطول ولكن النهاية تقول: النصر لأهل الحق. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[١].

إن الرسول ﷺ وأصحابه صبروا على الأذى ثلاث عشرة سنة حتىٰ أقام لهم دولة واستمروا عشر سنين حتىٰ يقيم بنيانها وهو النبيُّ الملهم المسدد. فما بالك بمن ضعف إيمانه وخارت قواه.

إن الصبر وعدم استعجال النتائج من الأمور الهامة لمن يسلك طرق الدعوة فالله أمر نبيه بالصبر فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[٢] فهذا نوح صبر ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه سراً وجهراً ليلاً ونهاراً ومع هذا كله وجد منهم السخرية

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

والاستكبار ولم يكترث بل صابر وجاهد وتحمل جميع تبعات هذه الدعوة: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾[1].

إن العاقبة للمتقين والتمكين في نهاية المطاف لأهل الإيمان والدين فلابد من تضحيات ولا يمكن لأهل الإسلام أن يروا جميع هذه النتائج أو أن يحصلوا عليها بين عشية وضحاها، ولن تتحقق هذه النتائج بدون جهد وعمل.

ولابد أن يعرف أن الكرب من علامات الانفراج.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

إن فرج الله تعالى يكون بعد شدة الكرب ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١١٠ ﴾[2].

والحري بالمسلم إذا تأخر النصر أن يلوم نفسه ويقول إنما أتي الإسلام من قبلي فلا يتذمر ولا يلق باللائمة على غيره.

---

(١) سورة نوح، الآيات: ٥ ـ ٩.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

إن علىٰ المسلم إذا تأخر النصر أن يلجأ إلى الله لا أن يترك طريق الالتزام ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1] ليس من شرط الداعية أن يرىٰ نتائج دعوته وثمار زرعه فهو لم يزرع ليجني وإنما ليجني الإسلام وهذا هو المهم.

إن هداية الناس أمر محبب لكن ليس بأيدي الدعاة ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾[2] ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[3] ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾[4].

إن استبطاء النصر سبب مباشر في انتكاس عدد من الدعاة وغيرهم وقد لام رسول الله ﷺ أصحابه على استعجال النصر كما في حديث خباب قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمراً وجهه فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتىٰ بالمنشار فيجعل علىٰ رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم**

(١) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٦.

وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب من بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله والذئب علىٰ غنمه ولكنكم تعجلون»[١].

إن علىٰ الداعية أن يصبر حتىٰ تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويجني قطافها وأجره إن كان مخلصاً محفوظاً عند الله فقد يموت قبل النمو أو النبت أو الحصاد، وماذايضيره ذلك أيريد أن تكون جميع الانتصارات وهو على قيد الحياة، هذا لم يتأتَّ لنبينا محمد ﷺ فما انتصر الإسلام على الفرس والروم إلا بعد وفاته ﷺ.

إن ساعة النصر قريبة قريبة فأبشروا وأمّلوا ومن هنا لابد أن أقول كلمة عن حقيقة النصر لأزيد الموضوع وضوحاً.

(١) البخاري مع الفتح كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦١٩ وقد ذكره البخاري في مواضع أخرى في صحيحه.

عوامل النصر

على المسلم أن لا يحزن لتأخر النصر وليعلم أن هذا التأخر ابتلاء من الله فلا ينتكس ولا يغير ويبدل بسبب هذه الحجة ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾(١).

إن تأخر النصر اختبار من الله ليعلم مدى صبرنا ومدىٰ جلدنا فسن بنا سنن من كان قبلنا عندما أخر عنهم النصر اختباراً لهم وامتحاناً.. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(٢) فهذه بشرىٰ خير فالله بيّن أن نصره قريب فلتهنأ النفوس المؤمنة فقد وعدها الله بالنصر ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾(٣) لقد ألزم الجبار نفسه بنصر المؤمنين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾(٤) إن نصر المؤمنين لابد آت ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥١.
(٤) سورة الروم، الآية: ٤٧.

ﵟٱلۡأَشۡهَٰدُﵞ(١) إن وعد الله لآت لأهل الإيمان ﵟوَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚﵞ(٢) ﵟكَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞﵞ(٣) ﵟوَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَﵞ(٤) إن دين الأمة الإسلامية سينتصر فيصل المشارق والمغارب يقول ﷺ كما عند مسلم: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**» أبشروا ياأمة الإسلام اهنأوا ياأحفاد الأبطال أملوا ياليوث وانتظروا يافهود، دينكم سيبلغ ما بلغ الليل والنهار وعد الله لا يخلف الله وعده فهذا نبيكم ﷺ كما عند ابن حبان بسند صحيح «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر**»(٥). إنها علامات نصر وانفراج أزمة فكن أخي ممن شاركوا في بناء النصر وساهموا في حصوله ونالوا قطافه. ولا تكن ممن

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢١.
(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ ـ ١٧٣.
(٥) صحيح ابن حبان ١٦٣١ ـ ١٦٣٢، مسند الإمام أحمد جـ٤/١٠٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة جـ١ ص٧ باب المستقبل للإسلام.

يئسوا من تأخر النصر فجفلوا عند اشتداد الكرب ولكنهم أشركوا أنفسهم عندما انتصر أهل الإسلام ونال الغنائم ﴿ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ﴾[1] ولا يكون حالك كحال المخلفين الذين كل همهم نيل الغنائم وحصد الأموال فهذه مشاركتهم عند الانتصار ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[2] فلا تتراجع عن طريق الحق استبطاءً للنصر فلقد وعد الله محمداً بالنصر فاحظ بهذا النصر العزيز والفوز المبين ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾[3] إن لتأخر هذا النصر أسباباً لعل منها وأهمها ليعلم الله مدىٰ ثباتك ومدىٰ تمسكك ليعلم هل أنت ممن ينجرف وراء هذا التيار ويتبع الغالب من الناس فلم يعض على دينه بالنواجذ وقد يكون السبب كما قال سيد قطب عليه رحمه الله: النصر قد يبطأ النصر لأن بنيه الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها ولم تتحفز كل خلية وتجتمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوىٰ واستعدادات فلو نالت النصر حينئذٍ لفقدته وشيكاً لعدم قدرتها على حمايته طويلاً وذكر

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٠.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٥.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٣.

الشيخ عبدالعزيز الجليل:

إن النصر قد يبطأ حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة وآخر ما تملكه من رصيد فلا تستبقي عزيزاً ولا غالياً إلا بذلته هيناً رخيصاً في سبيل الله.

وقد يبطأ النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة فلو انتصرت للقيت المعارضة من بيئة لا يستقر معها قرار.

قد يبطأ النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله.

قد يبطأ النصر لأن الأمة لم تبذل ما في وسعها لنصرة الدين لأن نواياهم مختلفة.

سوف ننال النصر متى نصرنا الله وبذلنا الغالي ليعلو دينه على ما سواه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسًا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ﴾[1] فإن حققنا الشرط نلنا المشروط. لا تظن أن الكافرين سينالون الغلبة أو يظفرون بنتيجة فالخسارة عليهم فادحة والغلبة عليهم حاصلة ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾[2] فالباطل مدموغ بإذن الله والحق له دامغ لا يشك به أولوا الألباب ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ

(١) سورة محمد، الآيتان: ٧ ، ٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤١.

زَاهِقٌ ﴾(١).

العاقبة للمتقين والغلبة لأولي الديانة والنهىٰ فلنصدق القرآن ولنتبع وصايا خير الأنام ولنتجنب ما جاء به أهل الخذلان أهل التثبيط والخسران لا تجعل تأخر النصر سببه غيرك فتترك من أجله دينك ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾(٢) ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾(٣) ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾(٤) ﴿ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ ﴾(٥) فسر على الدرب ولا تتراجع عنه حتى يحكم الله بينك وبين قومك بالحق وهو خير الحاكمين ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾(٦) ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾(٧).

﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ فلا تحزن أخي ولا تيأس ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٤) سورة الروم، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٤.
(٦) سورة يونس، الآية: ١٠٩.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

قَرۡحٌ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٌ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[(١)] فسوف تسعد بنهاية أهل الباطل فمالهم مال أسلافهم في السابق ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[(٢)] ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[(٣)] سوف ترى أهل الباطل ينهزمون ومن أهل الإسلام يفرون ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾﴾[(٤)] سوف تقف أمامهم الأحجار والأشجار وتقاتلهم مع أهل الإسلام. ففر أخي المسلم إلى الله تعالى ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾﴾[(٥)] وقل أخي ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[(٦)] ولا تحزن مما يصيبك عند لقائهم ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾[(٧)] فلا تظن أهل الباطل يسعدون

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٩ ـ ١٤١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٦ ، ١٧.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

بما ينالكم من خير ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1] فعلى الدعاة أن ينبذوا النزاع والشحناء حتى يتحقق الوعد الحق ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2] إن أهل الباطل إذا اتحدت صفوف المؤمنين خارت قواهم وانهدم بنيانهم وسقطت أركانهم فتحصنوا في البنيان وما ظنوا أن يأتي أمر الديان ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾[3].

وأختم بهذا الوعد الرباني ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾[4].

فهذا وعداً من الله فإذا سئلت متى النصر ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾[5] فالنصر قريب فاصبر فنصر الله قريب وفرجه وشيك فاطمئن وأمِّل خيراً:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٢.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١١٠.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥١.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

١٢ ـ عدم تحمل ضريبة الالتزام (التضحية)

من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

هناك من يلتزم ولا يريد أن يدفع لذلك ثمناً أو يضحي ببعض رغباته ليحافظ علىٰ دينه ولينصر إسلامه.

إن التضحية من أجل الالتزام شيء مهم ولابد منه، وعلى الشخص الملتزم ألا يبالي بأي ثمن يدفعه لالتزامه مهما كان غالياً فهذا صهيب رضي الله عنه يدفع ماله لقريش ليفسحوا له المجال للحاق برسول الله ﷺ فكان جزاؤه أن رفع الله ذكره في العالمين وأنزل فيه قرآناً يتلىٰ إلى يوم الدين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٢٠٧﴾[1].

إن علىٰ المسلم أن يعلم أن سلعة الله غالية **«ألا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله هي الجنة»**.

ياسلعة الرحمن لست رخيصة
بل أنت غالية علىٰ الكسلان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

يـاسلعـة الـرحمـن ليـس ينـالهـا
في الألْـفِ إلاّ واحـدٌ لا اثنـان
يـاسلعـة الـرحمـن مـاذا كفـؤهـا
إلا أولـوا التقـوى مـع الإيمـان
يـاسلعـة الـرحمـن أيـن المشتري
فلقـد عـرضـت بـأيسر الأثمـان
يـاسلعـة الـرحمـن هـل مـن خـاطـب
فـالمهـر قبـل المـوت ذو إمكـان
يـاسلعـة كيـف تصبر العشـاق
عنـك وهـم ذوو إيمـان
يـامعـرضـاً عمـا يـراد بـه وقـد
جـدَّ المسير فمنتهـاه دان
فـاتعـب ليـوم معـادك الأدنـى تجـد
راحـاتـه يـوم المعـاد الثـاني

وهنا يسأل سائل فيقول: وما الضرائب التي يمكن أن أدفعها ثمناً لهذا الالتزام؟ فأقول:

التخلص من أصدقاء السوء.

لا تصحـب الكسـلان في حـالاتـه
كـم صـالـح بفسـاد آخـر يفسـد

عدوىٰ البليد إلى الجليد سريعة
والجمر يوضع في الرماد فيخمد

وقال آخر:

أحب من الإخوان كل مواتي
وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أريده
ويحفظني حياً وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت أني أحببته
فقاسمته مالي من الحسنات
تصفحت إخواني وكان أقلهم
على كثرة الإخوان أهل الثقات

هناك من الجلساء من يأنس الجليس بمجالسته لطرافته وظرافته وحلاوة كلامه وجميل منطقه. ولكن هذا الجليس لا يعين علىٰ الخير ولا يحث عليه فلا خير يرجىٰ في مجالسته ولا فائدة من منادمته.

فهنا تأتي التضحية لترك مثل هذا الشخص حتىٰ لو حزنت لمفارقته فلا تبأس لأن مفارقة الدين أشد وأنكىٰ.

إن أصدقاء السوء يسخرون منك ومن دينك ويضللونك فلا تقع فيما وقع فيه من قال الله عنه ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

قال ابن الجوزي في تفسير هذه الآية في كتابه زاد المسير: ثلاثة أسباب لنزولها: .

السبب الأول: أن أبي بن خلف كان يحضر عند رسول الله ﷺ ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك فنزلت هذه الآية رواه عطاء الخرساني عن ابن عباس.

السبب الثاني: أن عقبة دعا قوماً فيهم رسول الله ﷺ لطعام فأكلوا وأبىٰ رسول الله ﷺ أن يأكل وقال: «**لا آكل حتىٰ تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» فشهد بذلك عقبة فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلاً له. فقال: صبوت ياعقبة؟ فقال: لا والله، ولكنه أبىٰ أن يأكل حتىٰ قلت ذلك وليس من نفسي فنزلت هذه الآية قاله مجاهد.

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

السبب الثالث: أن عقبة كان خليلاً لأمية بن خلف، فأسلم عقبة فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً. فكف وارتدَّ لرضىٰ أمية فنزلت هذه الآية قاله الشعبي.

فأما الظالم المذكور ههنا فهو الكافر وفيه قولان أحدهما: أنه أبي بن خلف رواه العوفي عن ابن عباس والثاني عقبة بن أبي معيط قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.

ومعنىٰ ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ﴾ أي اتبعته فاتخذت معه طريقاً إلى الهدىٰ. ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ في المشار إليه أربعة أقوال أحدها: أنه أبي بن خلف قاله ابن عباس. الثاني: عقبة بن أبي معيط قاله أبومالك. الثالث: الشيطان قاله مجاهد. الرابع: أمية بن خلف قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ أي صرفني عن القرآن والإيمان بعد إذ جاءني مع الرسول ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ أي الكافر ﴿خَذُولٗا ٢٩﴾ تبرأ منه في الآخرة.

ومهما كان الأمر فيمن نزلت فإنها لا تعدو أن تكون عامة لكل صديق أو صاحب آثر صاحبه علىٰ مرضاة الله فالمؤمن الحق الذي يقدم مرضاة الله علىٰ أهوائه وأحبائه. وأصدقاء السوء

لهم آثار عظيمة وتبرؤهم من أصحابهم يوم القيامة معلوم ومشهود بل وجعل الله العداوة بينهم قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[1] إن على الشخص العاقل أن يبتعد عن هؤلاء الأصدقاء السيئين وأن يضحي بصداقتهم من أجل التزامه وأن يعلم مصير هؤلاء يوم القيامة وما يكون عندهم من الحسرة والندامة وقد حكى الله لنا في القرآن الكريم عن أحد هؤلاء الذي كاد أن يضل صاحبه فقال سبحانه: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾[2].

فهذا القرين كاد أن يتأثر بقرينه وكاد أن يرديه لولا رحمة أرحم الراحمين. إن صديق السوء يريدك أن تظل مثله فلا يريد لأحد مزية عليه، إنه يسوؤه أن تسلك هذا الطريق وهو لم يسلكه فلابد له من حرمانك منه وحسدك عليه وبذل الجهد لصدك عنه.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.
(٢) سورة الصافات، الآيات: ٥١ ـ ٥٧.

يقول لي أحد الشباب إن قريباً له كان ممقوتاً عند زملائه يتندرون منه ويلقبونه بمفسد الكيف فهو يفسد جلساتهم ويعكر صفو حياتهم يعطونه مواعيد فيخلفونها لينفروه منهم ويبذلون ما في وسعهم لإبعاده عن مجتمعهم، وإذا اتصل بهم اعتذروا له، فامتدت له يدٌ حانية ودعته لطريق الهداية وكان يتحرىٰ هذه الفرصة ويتمناها فالتزم.

وما أن علم أصدقاؤه بالتزامه حتىٰ تغير حالهم معه وعادوا لزيارته وبادروا بدعوته وعرضوا عليه السفر معهم بل إن أحدهم أقسم وهو كاذب أن جلساتهم لا تحلوا بدونه.

بل إن واحداً منهم قال لو لم يحضر فلان فلن أحضر حتىٰ أثروا علىٰ فكره واستأنس لهذا الحب الكاذب فما كان منه إلا أن انحرف معهم ولما تأكدوا من صدق انحرافه عادوا إلى مقاطعته وعاملوه كما كانوا في السابق.

إنني أتساءل لماذا تغيرت أحوالهم معه عندما التزم إنه الكره له أنهم يرونه أحق منهم ويسبقهم إلى هذا الخير ومثل هذه القصص كثير قال لي شاب إن زميلاً له كان زملاؤه لا يحبون أن يذهب معهم للمباريات لعدم حبهم له وعندما التزم بدأوا بعرض تذاكر المباريات عليه مجاناً بل وعرض عليه أحدهم أن

يقوم بخدمته بأخذه معهم وإعادته بسيارته الخاصة.

إن الأصدقاء لا يريدون أن يخسروا أصدقاءهم ويعلمون أن الالتزام سبب لحرمانهم منهم لذا يبذلون ما في وسعهم وطاقتهم لصدهم عن سبيل الله. وبعضهم يستخدم أساليب ماكره يحاولون بها استذلال عاطفة زميلهم الذي هجرهم فيقولون هل أصبحنا كفاراً، هل نحن فساقاً وهكذا من الأساليب التي يحار فيها الشاب. إن السير مع أصحاب السوء له ثمار سيئة منها:

* حرمانه صاحبه من مجالسة أهل الخير.
* حرمانه صاحبه من طلب العلم وحفظ كتاب الله.
* حرمان صاحبه من زيادة الإيمان.
* تشويه السمعة.

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

* التأخر عن الصلوات وربما هجرها بالكلية.
* تعرض صاحبه للسقوط كشرب الدخان وتناول المخدرات والسرقة.
* تأخره الدراسي وتخلفه في هذا المضمار.
* حرمان لذة العبادة.
* قسوة القلب وتلاشي الإيمان.

* حرمان الرزق.
* عقوق الوالدين.
* إيذاء الجيران.
* إضاعة الوقت والمال فيما لا ينفع.
* التسكع في الشوارع والمعاكسات.
* الانحراف الخلقي والأخلاقي.
* المشاجرات والمشاحنات.
* التفحيط وأذىٰ المسلمين... وغيرها كثير مما يعرفه عقلاء الناس.

١٣ ـ عدم الهجرة

إن الهجرة هي الفرار بالدين من المحن والفتن إلى محل يأمن فيه المسلم على نفسه ودينه من الآثام.

إن ترك الهجرة والمكث في بلاد ومواطن الفتن من أهم وأخطر العوامل التي تؤدي إلى الردة والعياذ بالله. فكم من مسلم فارق دينه بسبب معاشرة الكافرين. إن المسلم مطالب بحماية دينه والمحافظة عليه ولو أدى ذلك إلى التضحية بالأموال والأولاد فليس هذا بكثير على دين ارتضاه الله للبشرية جمعاء وأمرهم بالتمسك به والعض عليه بالنواجذ.

إن الآيات القرآنية تدعو صراحة للهجرة بل ونصت على أن من لم يهاجر أنه ظالم، وقبل أن استعرض الآيات والأحاديث في هذا المجال لابد أن يعلم القاريء الكريم ما كان من هجرة الرسول ﷺ وأصحابه والدروس والعبرة المستفادة منها.

قال تعالى: ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[١].

صورة: قال الإمام ابن جرير الطبري: إن المراد بسعة الأرض

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

أنها لم تضق على المسلمين فيقيموا بموضع منها لا يحل لهم المقام فيه، ولكن إذا عُمل بمكان منها بمعاصي الله فلم يقدروا على تغييرهافعليهم الهرب منها.

وقال سعيد بن جبير: إذا عمل فيها بالمعاصي فاخرجوا منها.

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في الآية إن أرضي واسعة فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي لدلالة قوله تعالى: ﴿فَإِيَّىَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾[1] والمعنى والله أعلم أن الأرض إذا وصفها الله بالسعة فالغالب من وصفه إياها بذلك أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع.

وورد عن ابن عباس أنه لما أمر الرسول ﷺ الناس بالهجرة فمنهم من تعلق به أولاده وأهله يقولون له ننشدك الله ألا تضيعنا، فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾[2].

قال الطبري: يقول الله لنبيه ﷺ: قل يامحمد للمتخلفين عن

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

الهجرة إلى دار الإسلام المقيمين بدار الشرك إن كان المقام مع أبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وكانت أموال اقترفتموها أي كسبتموها، وتجارة تخشون كسادها بفراقكم بلدكم، ومساكن ترضونها فسكنتموها، أحبَّ إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله من دار الشرك، ومن جهاد في سبيله أي في نصرة دينه الذي ارتضاه، فتربصوا: أي انتظروا حتىٰ يأتي الله بأمره بفتح مكة، والله لا يهدي القوم الفاسقين والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته. اهـ.

فانظر رحمك الله كيف ذمَّ الله من ترك الهجرة خوفاً على أولاده وأمواله، يجب أن تكون جميع هذه الأشياء فداءً للإسلام بل ولا وجه للمقارنة بينهما يقول حسان:

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم فداء

فكل ما سبق لا يساوي شيئاً أمام عزة الإسلام ورفعته وهذا أمر لابد من معرفته فعندما يكون دينك في خطر فالنجاة النجاة قبل السقوط والوقوع في الشرك والكفر والفسق والضلالة.

واحذر أن تكون ممن وصفهم الله بالظلم لتركهم الهجرة فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا

﴿مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾(١).

قال ابن كثير: نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين أظهر المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة دينه فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية.

قال الشوكاني: استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة علىٰ من كان بدار الشرك أو بدار يُعمل فيها بالمعاصي جهاراً، إذا كان قادر على الهجرة ولم يكن من المستضعفين، لما في هذه الآية من العموم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وظاهرها عدم الفرق بين مكان وآخر وزمان وآخر، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾(٢).

قال ابن كثير عن عطاء: إذا دعيتم إلى معصية الله فاهربوا، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾(٣).

وعن مجاهد: فجاهدوا فيها وهاجروا واعتزلوا الأوثان فالهجرة من دار الشرك لا تخص مكاناً دون مكان والمراد بدار الشرك، أن يكون الحاكم علىٰ الأرض كافراً لأن الناس علىٰ دين ملوكهم

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٩٧.

والأرض لمن غلب عليها.

أقوال أهل العلم في الهجرة:

إن وجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام ثابت بالكتاب والسنة، فأما الإجماع علىٰ وجوبها فقد نقله الإمام الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1] الآية.

قال ابن القيم في الزاد: منع الرسول ﷺ إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم وترجم على ذلك بقوله: «**الإقامة بدار الكفر شرك**».

قال ابن حجر: كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام علىٰ من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتحت مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية علىٰ من قام به أو نزل به عدو وكانت الحكمة في وجوب الهجرة علىٰ من أسلم ليسلم من أذىٰ من يؤذيه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

علىٰ الخروج.

قال الطيبي: الهجرة من الوطن إما للفرار من الكفار أو إلى الجهاد أو إلى غير ذلك كطلب العلم فانقطعت الأولىٰ وبقي الأخريان فاغتنموها ولا تتقاعسوا عنها بل إذا استنفرتم فانفروا.

قال ابن حجر معقباً على هذا الكلام:

وهذا ليس كما قال الطيبي لما جاء من النصوص القاضية ببقاء الهجرة الأولى وهي الفرار من الكفار إلى يوم القيامة.

قال ابن العربي: الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وكانت فرضاً في عهد النبي ﷺ واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلاً هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان.

(ولمن أراد الاستزادة من هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب (إعلام الزمرة بأحكام الهجرة) للشيخ حماد بن محمد الأنصاري).

ومما ذكره الشيخ حماد في كتابه هذا باباً في الثناء علىٰ المهاجرين حيث قال: إن الله تعالىٰ اثنىٰ على من هاجر ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

قال ابن كثير: في هذه الآية ترغيب في الهجرة في مفارقة المشركين وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عندهم ملجأ يتحصن فيه، والمراغم: المضطرب. قال الشاعر:

إلى بلـــــــد غير داني المحـــــــل
بعيـــــد المـــــراغـــم والمضطـــــرب

وقال النابغة:

كطـــــود بـــــلاد بـــــأركـــــانـــــه
عـــــزيـــــز المـــــراغـــم والمضطـــــرب

والمقصود بالسعة يعني الرزق قاله غير واحد منهم. قال قتادة عند تفسير ﴿ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ من الضلالة إلى الهدى ومن القلة إلى الغنى.

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبوزرعة وذكر الخبر بسنده إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق فمات فأنزل الله تعالى هذه.

فقال الزبير: فكنت أتوقعه وأنتظر قدومه وأنا بأرض الحبشة فما أحزنني شيء حزن وفاته حين بلغني، لأنه قلَّ أحد من قريش إلا ومعه بعض أهله ولم يكن معي من بني أسد بن عبدالعزى أحد ولا أرجو غيره.

قال ابن كثير: هذا الأثر غريب فإن هذه قصة مكية ونزول هذه

الآية مدني فلعله أراد أنها تعم حكمه مع غيره، وإن لم يكن ذلك السبب من وقوع الأجر للمهاجر علىٰ الله والله أعلم.

تنبيه هام:

إذا كانت هذه الآيات تندب الإنسان وتأمره بالخروج من بلده إلى بلد يأمن فيه على دينه فمن باب أولىٰ أن من أوذي من قبل أهله ولم يستطع الحفاظ على دينه والتزامه أن يترك البيت وأن يتحول عنهم.

أعرف إنساناً بذل معه أهله كل السبل والطرق لترك التزامه وتمسكه بدينه وأصبح وجوده معهم سبيلاً لا مفر منه للانتكاس وهو مع ذلك يرفض مفارقتهم مع علمه أنه لن يستطيع التأثير فيهم بل لا يستطيع المحافظة على التزامه فليت شعري كيف يكون هذا لو كان الأمر أشد من ذلك وهو مفارقة الوطن كله والخروج من البلد والتضحية بالأموال والأهل فماذا عساه أن يفعل، اللهم ثبتنا بقولك الثابت يارب العالمين.

١٤ـ الغلو في الدين وتحميل النفس ما لا تطيق من العبادة

إن الإنسان بطبعه له طاقات محددة، فعليه ألا يتجاوزها وإلا فإنه سيكون عرضه للسقوط ولقد نهىٰ الله عزوجل في آيات متعددة في كتابه الكريم عن الغلو فحذر أهل الكتاب منه فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[1].

فظهر الانحراف عند النصارىٰ بسبب ما أحدثوه في دينهم من غلو قال الأستاذ محمد طه عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة) فيما نقله عنه الشيخ عبدالرحمن اللويحق في كتابه (الغلو في الدين):

إن هذه النصوص وإن تعلقت بأهل الكتاب ابتداءً فإن المراد منها وعظ هذه الأمة لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة. ا.هـ.

وقد يتساءل البعض هل كان الغلو مقتصراً على النصارىٰ؟ فأجاب على هذا السؤال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم فقال: النصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

الطوائف وإياهم نهىٰ الله عن الغلو في الإيمان ا.هـ.

ولذا نهىٰ الرسول ﷺ أمته عن الغلو لكي لا يقع المسلمون فيما وقع فيه غيرهم من الأمم التي بعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: «**هلم القط لي الحصى**» فلقطت له حصيات من حصىٰ الخذف فلما وضعهن في يده قال: «**نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(١)].

فهذا نبينا ﷺ يبين مآل الغلاة وأن مصيرهم إلى الهلاك بل ويكرر ذلك ثلاث مرات فقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون قالها ثلاثاً**»[(٢)] قال النووي معلقاً على هذا: المتنطعون المتعمقون المغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وهذا هو ﷺ يرشد أمته إلى ترك التشدد فيقول: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله**

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وابن خزيمة والنسائي وقال الحاكم هو صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه شيخ الإسلام في الاقتضاء والنووي في المجموع.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٥٥ كتاب العلم باب هلك المتنطعون. وأبوداود ٤٦٠٨ كتاب السنة باب في لزوم السنة وأحمد ١/ ٣٨٦.

عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»[١].

فالتشديد علىٰ النفس ضرب من ضروب الغلو فيكون مصير صاحبه الانقطاع لأن من شاد الدين غلبه ولا ريب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»** وفي لفظ **«والقصد القصد تبلغوا»**[٢].

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا: والمعنىٰ لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب.

ولقد تأثر الرسول ﷺ من خبر وصله عن بعض أصحابه فعن أنس رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ؟ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

---

(١) أخرجه أبوداود وأبويعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبدالرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة وقال عنه ابن حجر مقبول ووثقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري ١/١٦ كتاب الإيمان باب الدين يسر والنسائي ٨/١٢١ كتاب الإيمان باب الدين يسر.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: «**حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**»(٢) قال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: إن فيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها.

وأخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ دخل وعندها امرأة قال من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «**مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتىٰ تملوا وكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه**»(٣).

---

(١) رواه البخاري ٢/٧ كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ومسلم ٢/١٠٢٠ كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه.

(٢) رواه البخاري ٢/٦٧ كتاب التهجد باب ما يكره من التشديد في العبادة. ومسلم ١/٥٤١ كتاب صلاة المسافرين باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

(٣) البخاري ١/١٧ كتاب الإيمان باب أحب الدين إلى الله أدومه وأبوداود ٢/٦٧ كتاب التهجد باب ما يكره من التشديد في العبادة ومسلم ١/٥٤٢ كتاب صلاة المسافرين باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد =

قال ابن حجر: عليكم بما تطيقون: أي اشتغلوا بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بما يطاق من العبادة ومفهومه يقتضي النهي عن التكلف بما لا يطاق ولقد عالج النبي ﷺ ما يكون عند الصحابة من الحماس الذي لا يمكنهم أن يطيقوه ومن ذلك حديث عبدالله بن عمرو بن العاص الذي رواه البخاري في كتاب الصوم ومسلم في كتاب الصوم.

فالمسلم لا يحتاج لإيجاب شيء جديد علىٰ نفسه فإن ذلك من تجاوز الحدود التي حددها الله وبينها لعباده كما أنه لا يجوز أن يحرم طيبات أحلها الله له قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار فيما نقله عنه اللويحق في (كتاب الغلو في الدين): ترك الطيبات تنسكاً وتعبداً بتعذيب النفس والتشديد عليها محل شبهة فتن بها كثير من العباد والمتصوفة متبعين بذلك سنة من قبلهم من رهبان النصارىٰ الذين ابتدعوها رهبانية لم يؤمروا بها. ا. هـ.

ومن خلال هذه الأدلة والنصوص يتضح لنا يسر ديننا وقناعته

= أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

بقدرات الفرد وهناك من لم يقتنع بهذه النصوص باعتقاده أنه غير معني بها وأن المخاطب بها فئة غيره.

على المسلم عند التزامه ألا يحمل نفسه من القيام والصيام ما لا طاقة له به لكي لا تحدث عنده نتيجة عكسية وهي ترك الالتزام لأنه عندما لم يستطيع تحمل ما كلف نفسه به رأى أن هذا الطريق لا يناسبه، بل عليه أن يتدرج في تربية نفسه على النوافل وأن يعطيها حقها ولتقريب المفهوم أذكر بعض الأمثلة:

يذكر الأستاذ فتحي يكن في كتابه (المتساقطون): أن شاباً أقسم أن يحفظ القرآن في الإجازة الصيفية وحرم نفسه من أشياء كثيرة ثم لم يطق ذلك لكنه أصر عليه حتى تطور به الحال أن تسبب ذلك في دخوله مستشفى الأمراض العصبية ا.هـ.

وأذكر أن شاباً آخر تحمس لحفظ القرآن خلال أشهر قليلة وأخبرته أن في ذلك مشقة عليه لكنه رفض ولما مضت الأشهر التي حددها أصيب ببعض الإحباط لكنه اقتنع بالتوسط وهو الآن منطلق بحفظه عندما نظر إلى الأمر بعين العقل نسأل الله أن يوفقه لذلك.

وقد يقول البعض إن هناك من حفظ القرآن خلال أشهر أو مدة

قليلة أقول إن هذه حالات نادرة وقليلة لا يستطيع كل شخص بل أكثر الأشخاص أن يتقنوها.

وأذكر أن شاباً التزم وأحس برغبة قوية لقيام الليل وبدأ من أول يوم يقرأ في كل ركعة جزءاً ثم دعته نفسه للمزيد فبدأ بالزيادة حتى أصبح لا يطيق ذلك فترك القيام بالكلية.

وقال لي أحد الفضلاء أن شاباً ألقى درساً عن قيام الليل فتحمس لذلك فقام من ليلته فصلى سبعين ركعة أجهد نفسه بها وغلبه النوم قبل الفجر وما شعر بنفسه إلا وعقارب الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحاً فأخر الصلاة عن وقتها بسبب عدم التوازن.

ولا يظن ظان أنني ألوم من يتحمس للتعبد فالحماس للتعبد أمر محمود، ولكن على الشخص الاعتدال ومعرفة طاقته فمن سلك درباً فعليه أن يستمر فيه، لهذا أرشد رسول الله ﷺ أحد الصحابة فقال له: «**لا تكن كفلان كان يقوم الليل فتركه**» لأن ترك العبادة بعد الشروع فيها أمر مذموم وقد يحدث في نفس صاحبه ردود فعل لا تحمد عقباها.

ويقول الأستاذ فتحي يكن: إن الذين يحملون أنفسهم ما لا يطيقون ولا يقبلون التوسط في الشيء ويصرون على الغلو فهؤلاء معرضون بشكل أو بآخر لانتكاسات نفسية وإيمانية وهؤلاء كمن يريد أن يقطع صحراء طويلة بسرعة فيهلك دابته ولا يبلغ ضالته

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقىٰ**».

إن النفس البشرية ضعيفة ثم ذكر صورة أخرى للغلو وهي التكفير وذكر قصة رجل كفر أخاً له بسبب أنه لم يصل الفجر إلا بعد خروج الوقت دون أن يعرف الأسباب التي منعته عن أداء الصلاة في وقتها.

فقد يكون المانع مما يعذر الله به ثم إن هذا الرجل أصر على موقفه ولم يقتنع بخطئه وأن تسرعه في إطلاق الحكم مخالف لأصول الدين وأصر على موقفه حتى وجد نفسه خارج دائرة الإيمان. وبدأ هذه الرحلة بحلق اللحية ثم الوقوع في غرام المومسات وانتهىٰ به الطريق إلى الإلحاد نسأل الله الثبات «فتحي يكن بتصرف».

ومن هنا نخلص إلى أن تحميل النفس ما لا تطيق أقل نتائجه ترك العمل أخرج البزار عن ابن عباس قال: كانت مولاة للنبي ﷺ تصوم النهار وتقوم الليل فقال ﷺ: «**إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل**».

فالاعتدال أمر مطلوب وحرمان البدن من الراحة يؤدي إلى الضعف والسأم والملل فعلى المسلم أن يعيش حالة التوسط ولا إفراط ولا تفريط وعليه أن يعلم أن له طاقة محدودة إذا تجاوزها اعتراه الكسل والفتور الذي يكون غالباً هو بداية الانحراف.

وللغلو صور عديدة ولكنني أكتفي بما سبق لأن هذا الموضوع له مظانه ولا أنسى أن أنبه هنا إلى أهم مظان هذا الموضوع وهو كتاب الغلو في الدين للشيخ عبدالرحمن اللويحق والذي نقلت عنه أكثر ما في هذا الموضوع وأعتذر إليه إن لم أعز عند كل نقطة وقد اكتفيت بتخريجاته لأحاديث هذا الباب لثقتي بعلمه وأنا أحيل إلى كتابه ومن أحيل إلى مليء فليرض.

١٥ ـ الغرور

وسوف أتطرق له من خلال ما كتبه الدكتور محمد سيد نوح في كتابه (آفات على الطريق) حيث عرفه فقال إنه «إعجاب العامل بنفسه إلى حد احتقار واستصغار كل ما يصدر من الآخرين. وقد ذكر الدكتور محمد أسباب ومظاهر الغرور وسأذكرها بتصرف، مع زيادة ما يلزم. فمن الأسباب:

تأثير البيت حيث ينشأ الابن في بيت يكون فيه من المغرورين ما يتأثر بهم.

وينشأ ناشيء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

إطراء الآخرين وعدم الالتفات إلى القيود الشرعية في المدح.

- الإطراء الكاذب بحيث يمدح المرء بما ليس فيه.
- مصاحبة من ابتلوا بهذا الداء العضال والآفة الخطيرة.
- دوام التحقير والتسفيه للآخرين وعدم الاعتراف بهم.
- الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية مما يجعل الإنسان يشعر بعظمة زائدة.
- احتقار الفقراء والمساكين وأمثالهم.
- الغفلة والجهل بحقيقة النفس وأن أولها نطفة وآخرها جيفة قذرة.

ـ كثرة حديث المرء عن نفسه والثناء عليها وذكر محامدها.
ـ صعوبة الإذعان والانقياد لغيره لأنه يشعر بقرارة نفسه أنه أفضل الجميع.
ـ عراقة النسب.
ـ مبالغة الآخرين في توقيره واحترامه والانقياد له والسمع والطاعة دون معرفة الضوابط الشرعية في هذه المجالات.
ـ عدم معرفة آثار إعجاب المرء بنفسه.
ـ عدم محاسبة النفس.
ـ التعمق في غرائب العلوم وعجائبها.

ومن آثاره:

ـ الوقوع في المراء والجدل.
ـ التكبر في الأرض.
ـ الاستبداد بالرأي.
ـ كراهية العامة والخاصة له مما يجعله فريسة سهلة للأعداء.
ـ ومن علامات الغرور تحقيره للآخرين وتزكيته لنفسه. «انتهى كلام الدكتور محمد نوح».
ـ وعدم قبول النصيحة وخاصة ممن هم أصغر منه والفرح بسماع عيوب الآخرين ومثالبهم.

وبعد هذا فإني أحب أن أوضح أن هذه الآفة خفية بحيث أن المصاب بهذه الآفة لا يشعر بها ولا يعترف بها وهذا مما يزيدها صعوبة، ولو علم المغرور أصله ومآله، وأنه بهذا لن يخرق الأرض

ولن يبلغ الجبال طولا لما تمادى في غيه وضلاله.

ولكي لا أكون مبالغاً أقول أن الغرور يكون بأحد الأسباب التالية غالباً:

أ ـ المال:

حيث إن البعض ممن أغناهم الله وبسط لهم في المال لا يشكرون الله وإنما يحقرون غيرهم ويتخذونهم كعبيد لهم مما يجعلهم عرضة للكفر، وأوضح مثال على هذا قارون وأصحاب الجنة وصاحب الجنتين.

ب ـ الجاه والمكانة:

حيث أن بعض أصحاب المناصب العالية الفانية لا يعترف بإنسانية غيره ولا يحترم مشاعره فيحقر الآخرين ويزدريهم ولا يرى لهم حقاً ولا مكانة وممن ارتد بسبب الغرور في هذا المجال جبلة بن الأيهم.

جـ ـ العلم:

فالله عزوجل يفتح على بعض خلقه بعلم ومعرفة ومنطق وجدل وفراسة ودراية لكنه لا يستخدم هذه النعم في مجالها وإنما يستخدمها لزيادة مكانته عند الناس ومماراة السفهاء ومجادلة العلماء وإبراز نفسه للآخرين فيحب الصدارة والفتيا ويشعر بالغيظ إذا سئل غيره وهو موجود بل ربما بادر بالإجابة بأسئلة لم توجه إليه وتراه يسفه غيره من أهل العلم ويقدح في فتياهم ويسبها وينتقص

من قدرهم ولا يذكر لهم فضل ولا لعلمهم قدر ولا لسبقهم إلى الإسلام نصيباً.

ويفرح بأخطائهم ويبرزها للملأ حتىٰ يسقطهم ويسود هو، فإذا لم تتحقق مطالبه وما يصبو إليه رأيته يخرج من دائرة الإسلام إلى دائرة أخرىٰ يحقق فيها بغيته وينال فيها مقصده وغايته ومن الأمثلة في هذا الباب ارتداد عبدالله القصيمي وغيره عن الإسلام إن الغرور آفة خطيرة ووصمة عار في جبين مرتكبها كبيرة، إن على المسلم أن يعلم أن الكبرياء رداء الله عزوجل لا يجوز لغيره منازعته فيه.

عليه أن يعلم أن هذه نعم من الله وأن الغرور من كفرانها عليه أن يستفيد من الآخرين وتوجيهاتهم وأن يعلم أن المسلم مرآة أخيه.

عليه أن يحتقر نفسه دائماً لكي لا تكبو به في مهاوي الردىٰ وأذكر هنا قصة أحد خريجي جامعة الإمام وهو طالب أفريقي نهل من علمها الصافي ثم ذهب إلى بلده ليعلم الناس ويرشدهم ثم أصابه من جراء ثناء الناس عليه إعجاب بنفسه حيث تميز عليهم بالعلم الشرعي المؤصل خصوصاً وأنه حديث عهد ببلاد التوحيد فأصبح يحتقر غيره ولا يسمح لأحد من الدعاة التحدث في مسجده ورأى نفسه أنه وحيد زمانه وأصبح ناقداً بذيء اللسان إن ألقىٰ غيره محاضرة استشاط غضباً وإن استفتي غيره تميز غيظاً، حتىٰ ضاق الناس به ذرعاً فهيأ الله له أحد الدعاة حيث ذهب إلى

مسجده وألقى كلمة عن التواضع وذكر تواضع أحد الصحابة عندما تولىٰ الإمارة فشعر بإعجاب بنفسه فاشتغل حمالاً.. فكانت هذه القصة كالسوط الذي قرعه وأحس بصغر نفسه وأنه هو المعني بهذه الكلمات فغير وضعه وبدل حاله وعلم أن هذا الدين ليس مطية لتحقيق الرغبات والشهوات وإن حقق صاحبها نجاحاً نسبياً في الدنيا فإن الوضع في الآخرة مختلف تماماً فتاب إلى الله وأناب.

قال ابن القيم:

وسل العياذ من التكبر والهوىٰ
فهما لكل الشر جامعتان
وهما يصدان الفتىٰ عن كل طر
ق الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمعنه هواه تارة
والكبر أخرىٰ ثم يشتركان
والله ما في النار إلا تابع
هذين فاسأل ساكني النيران
والله لو جردت نفسك منهما
لأتت إليك وفود كل تهان

وقال آخر:

يامظهر الكبر إعجاباً بصورته
انظر خلالك فإن النتن تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم
ما استشعروا الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة
وهو بخمسٌ من الأقدار مضروب
أنف يسيل، وأذن ريحها سهك
والعين مرفضة والثغر ملعوب
ياابن التراب ومأكول التراب غداً
أقصر فإنك مأكول ومشروب

وأختم بذكر هذه القصة التي أوردها الشيخ محمد مختار الشنقيطي في محاضرة له بعنوان «داء الغرور»:

قاتل الله الغرور

ذكر عن الإمام الماوردي أنه قال: «دخلت المسجد في يوم من الأيام فتذكرت سعة العلم الذي منحني الله إياه فقلت: هل هناك مسألة في الفقه لا أحسنها؟ فدخلت المسجد وفيَّ بعض الغرور فلما جلست أمام طلابي إذا بعجوز ومعها ابنتها، فأقبلت وقالت: «ياشيخ هذه المرأة قد أصابها الحيض وكان من شأنها كذا وكذا فأفتنا رحمك الله؟ قال الماوردي: إذا بها مسألة من أيسر مسائل الحيض وإذا بي لا أحسن لها جواباً، ومن شدة ما أصابني من الإعياء والحصر أصبح الطلاب في دهشة فما استطاعوا أن يجيبوها.. فبقيت تنتظر مني الجواب فما استطعت أن أجيب.. وبينما هي تريد الخروج من المسجد إذا بها تلتقي بأحد الطلاب المبتدئين فقالت له: «يرحمك الله امرأة أصابها الحيض ومن شأنها كذا وكذا؟؟ فأفتاها وأجابها بالصواب فقالت: «أنت خير من هذا الذي جلس».

قال الماوردي: «فعلمت أن الله خذلني حينما اتكلت على نفسي»(١) وقريبٌ من هذا ما ذكره أحد الشباب الصالحين قال:

---

(١) محاضرة «داء الغرور» للشيخ محمد بن المختار الشنقيطي.

«دخلت يوماً الاختبار وكنت حافظاً له متقناً فتلبسني الغرور» قال: «وقبل أن تأتيني ورقة الأسئلة.. قلت في نفسي: هل هناك سؤال في المقرر لا أستطيع أن أجيب عنه؟.. فلما وقعت ورقة الأسئلة بين يدي إذا بي والله لا أعرف شيئاً!! فرحت أتصبب عرقاً من الخوف والخشية ومضى على ذلك فترة ربع ساعة بل أكثر.. فتذكرت أنه أخذ مني الغرور مأخذه، وأنني اتكلت على حولي وعلى قوتي فأتبعت ذلك بالاستغفار والتوبة إلى الله من هذه الآفة فما هي إلا لحظات حتى فتح الله عزوجل عليَّ بالإجابة»[1].

(١) المصدر السابق «بتصرف».

١٦ ـ عدم الحرص على التربية الروحية

إن النفس البشرية مكونة من روح وجسد، وللجسد حقوق وللروح حقوق ولابد من اعطاء كل ذي حق حقه.

إن حاجة الانسان للتغذية الروحية أشد من حاجته للتغذية الجسدية لأن الغذاء الروحي نفعه في الدنيا والآخرة بينما يقتصر نفع الغذاء الجسدي على الدنيا فقط.

ومن سمات أهل السنة والجماعة ومعتقداتهم أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾[1] وقال سبحانه ﴿وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[2] وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾[3] وروى الطبراني والحاكم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الايمان ليخلق في جوف أحدم كما يخلق الثوب، فاسألوا أن يجدد الايمان في قلوبكم**»

إن زيادة الايمان من أهم مقوماتها التربية الروحية والذاتية التي يعتقد كثير من الناس أنه قد تعدى هذه المرحلة أعني مرحلة التربية

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.

الروحية والذاتية.

وهذا مما يهمله بعض المربين بحجة أنه تعدى هذه المرحلة وأنه لا خوف عليه من السقوط ومن هنا يجد الشيطان مدخلاً كبيراً على الصالحين ربما أدى إلى انحرافهم.

إن على الفرد أن يعلم أن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وقبل أن استطرد لذكر وسائل التربية الروحية أحب أن أبين أن الناس خمسة أقسام وهي:

١ ـ صالح في نفسه مصلح لغيره وهذه أعلى الدرجات وهي درجة الأنبياء والصحابة والعلماء المصلحين.

٢ ـ صالح في نفسه غير مصلح لغيره وهذه من صفات العباد والزهاد المعتزلين عن جانب الدعوة إلى الله وهي صيغة ربما توجد كثيراً عند العوام.

٣ ـ مصلح لغيره غير صالح في نفسه:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ماتقول ويقتدى
بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وهؤلاء ربما يكونوا من المنافقين، وقد يكونوا دعاة وطلبة علم استدرجهم الشيطان وخدعهم فتجد الواحد منهم على استعداد ليدفع مايملك لهداية الناس واصلاح حالهم بينما يرى نفسه مقدوراً عليها بترك المعاصي والذنوب فتجد عنده منها ما لا يعلمه إلا الله وربما كان هؤلاء ممن بين رسول الله ﷺ حالهم حيث يأتي أقوام يوم القيامة بحسنات مثل جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثوراً وقال إن هؤلاء إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها.

٤ـ فاسد في نفسه غير مفسد لغيره كحال من يميلون للعزلة لمشاهدة الأفلام وغيرها من الأمور المحرمة.

٥ ـ فاسد في نفسه مفسد لغيره مثل أصدقاء السوء.

وهنا أذكر بعض وسائل التربية الروحية:

أ ـ قيام الليل:

كان السلف الصالح يحرصون على قيام الليل حرصاً شديداً حتى قال ابن سيرين: لابد من قيام الليل ولو على قدر حلب الشاة. والأدلة في هذا الباب كثيرة جداً قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[1] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾[1] ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾[2] ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3] ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾[4] ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[5] ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾[6] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[7]. ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[8].

قال عبدالله بن قيس سمعت عائشة وقد ذكر عندها قوم يزعمون أنهم إذا أدوا الفرائض لا يبالون أن يزيدوا فقالت: لعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم، ولكنهم قوم يخطئون بالنهار وأين أنتم من نبيكم ونبيكم منكم، فما رأيت النبي ﷺ ترك قيام الليل إلا أن يمرض فيصلي وهو جالس ثم نزعت في كل آية في القرآن يذكر فيها قيام الليل» ونزعت: جاءت واستدلت.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩.
(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٤) سورة المزمل، الآية: ٦.
(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٧) سورة الفرقان، الآية: ٦٤. (٨) سورة الزمر الاية ٨٩

السلف وقيام الليل

كان شداد بن أوس إذا دخل فراشه بمنزلة القمحة في المقلاة على النار وكان يقول: اللهم إن النار منعت مني النوم، فيقوم إلى الصلاة فيصلي حتى يصبح.

القمحة هي حبة القمح المقلاة: آلة القلي التي يقلى فيها الحب وغيره.

قال سالم: كان ابن عمر لا ينام الليل إلا قليلا.

قال عبدالرحمن بن يزيد كنا في غزاة وكان عطاء الخراساني يحيي الليل صلاة فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثه أقبل علينا ونحن في فساطيطنا فنادى: قوموا توضؤوا وصلوا صيام هذا النهار وقيام هذا الليل فهو أيسر من مقطعات الحديد وشراب الصديد، الوحاء الوحاء، النجاة النجاة، ثم يقبل على صلاته. ومعنى الوحاء: أي اسرعوا في العمل.

كان صلة بن أشيم يصلي من الليل حتى يأتي فراشه حبواً أو زحفاً وكذلك كان ابن الربيع العدوي.

قال بكر المزني: كانت امرأة متعبدة من أهل اليمن إذا أمست قالت: يانفسي الليلة ليلتك لا ليلة لك غيرها فاجتهدت وإذا

أصبحت قالت: يانفسي اليوم يومك لا يوم لك غيره فاجتهدت فصامت.

قال ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وببكائه إذا الناس يضحكون.

يـــــامعشر القـــــراء يـــــاملـــــح البلـــــد
مـــــن يصلـــــح الملـــــح إذا الملـــــح فســـــد

قصيدة في الترغيب في قيام الليل لإبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ:

قـــم الليـــل يـــا هـــذا لعلـــك تـــرشـــد
إلى كـــم تنـــام الليـــل والعمـــر ينفـــد

أراك بطـــول الليـــل ويحـــك نـــائمـــاً
وغيرك في محـــــرابـــــه يتهجـــــد

أتـــرقـــد يـــا مغـــرور والنـــار تـــوقـــد
فـــلا حـــرهـــا يطفـــى ولا الجمـــر يخمـــد

ألا إنهـــا نـــار يقـــال لهـــا لظـــى
فتظلـــم أحيـــانـــاً وحينـــاً تـــوقـــد

فيـــا راكـــب العصيـــان ويحـــك خلهـــا
ستحشر عطشـــانـــاً ووجهـــك أســـود

ولـــو علـــم البطـــال مـــانـــال زاهـــداً
مـــن الأجـــر والاحســـان مـــاكـــان يـــرقـــد

فصـــام وقـــام الليـــل والنـــاس نـــوم
ويخلـــو بـــرب واحـــد يتعبـــد

بعزم وحزم واجتهاد ورغبة
ويعلم أن الله ذو العرش يعبد
فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها
لكان رسول الله حياً يخلد
فكم بين مشغول بطاعة ربه
وآخر بالذنب الثقيل مقيد
فهذا سعيد بالجنان منعم
وذاك شقي في الجحيم مخلد
كأني بنفسي في القيامة واقف
وقد فاض دمعي والمفاصل ترعد
وقد نصب الميزان للفصل والقضا
وقد قام خير العالمين محمد
إلى الله يرجو لطفه تحت عرشه
بكل دعاء صالح وهو ساجد
ليشفع عند الله في أهل موقف
توالت على العاصين فيه الشدائد
فصل إلهي كل يوم وليلة
على أحمد المختار ما حن راعد
مع الآل والأصحاب ماقال قائل
قم الليل ياهذا لعلك ترشد

الترغيب في قيام الليل

عن عبدالله بن سلام قال: لما دخل النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قبله. وقيل: قدم النبي ﷺ فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. وكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: **«أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»**(١).

وقال ﷺ: **«أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»**(٢).

وقال ﷺ: **«يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»**(٣).

وقال ﷺ: **«نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً»**(٤).

قال سعيد بن جبير: قال ابن عمر حين حضرته الوفاة: ما آسي على شيء من الدنيا إلا على ظمأ الهواجر ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا يعني الحجاج(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه كتاب الأطعمة باب إطعام الطعام (٣٢٥١) ١٣٣٤ ورواه أحمد (٢٣٨٤٥) ٥/ ٤٥١ وابن السني ٢١١ بسند صحيح قال الترمذي: حسن صحيح انظر الأرواء ٣/ ٢٣٩.

(٢) رواه البخاري ٢/ ٦٣، ٤/ ١٩٦. والنسائي ٣/ ٢١٤ والبيهقي ٣/ ٣.

(٣) رواه البخاري ٢/ ٦٨ ومسلم ١١٥٩ والنسائي ٣/ ٢٥٣ وابن ماجه ١٣٣١ والبغوي ٩٣٩.

(٤) البخاري: فتح الباري ٧/ ١١٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣٢ وطبقات ابن سعد ١٨٥/ ٤ بسند صحيح.

عوائق قيام الليل

* كثرة الأكل وخصوصاً طعام العشاء
* النوم وعليه جنابة.
* السهر وكثرة المزاح.
* الذنوب والمعاصي.
* الأعمال الدنيوية كالوظائف والدراسة علماً بأن السلف كانوا يعانون في معايشهم أكثر من معاناة أهلُ هذا الزمن.

ب ـ ومن وسائل التربية الروحية صيام النفل:

وهو من أعظم القربات إلى الله وكان السلف الصالح يحرصون على الصيام حرصاً شديداً وإليك بعض ماورد عنهم:

كان معاذ يتأسف عند موته على ما يفوته من ظمأ الهواجر.

كان أبوبكر يصوم في الصيف ويفطر في الشتاء.

كان أحد السلف يصوم في الصيف حتى يسقط.

كانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حراً فتصومه، فيقال لها في ذلك فتقول: إن السعر إذا رخص اشتراه كل واحد، تشير إلى أنها لا تؤثر إلا العمل الذي لا يقدر عليه إلا القليل من الناس لشدته عليهم.

كان ابن عمر يصوم تطوعاً فيغشى عليه فلا يفطر.

كان أحمد بن حنبل يصوم حتى يكاد يغشى عليه.

ج/ حفظ القرآن وتدبره وتلاوته والإكثار من الذكر.

د/ بر الوالدين.

هـ/ صلة الأرحام.

و/ الجهاد في سبيل الله.

ز/ الحضور المبكر للصلاة.

ح/ الحضور المبكر لصلاة الجمعة.

ط/ المكث في المسجد وخصوصاً بعد الفجر والعصر والمغرب.

ي/ اجتناب اللغو والغيبة والنميمة والبعد عن المحرمات.

ك/ سلامة الصدر.

ل/ احتساب الأجر والصبر.

م/ طلب العلم الشرعي.

ن/ مجالسة الصالحين.

ووسائل التربية الروحية كثيرة جداً اكتفي بما سبق منها.

١٧ ـ الحياء من الناس

هناك من المتلزمين من يتأثر بمواقف معينة فيترك الالتزام بسبببها وعندما يناقش يقول إنني أرغب في العودة إلى هذا الطريق ولكنني أخشى من أن يصفني الناس بالتذبذب وأنني لا أملك القدرة على تحديد موقفي.

إن الخوف من نظرات الناس عقبة كؤود تمنع كثيراً من المنتكسين من العودة إلى الالتزام بل تتسبب أحياناً في انتكاسهم.

كان هناك أحد الشباب المتحمس لهذا الدين وكان يملك الغيرة عليه والنشاط في طلب العلم وسألت عنه جيرانه لأعرف مدى تمسكه فأخبرني أحد كبار السن أنه يسابق المؤذن في الحضور إلى المسجد في صلاة الفجر، ولكنه تعرف على أصدقاء سيئين حالوا بينه وبين الاستمرار في هذا الطريق فلما لاحظت عليه التغير زرته وناقشته، وقال إنني أرغب العودة إلى هذا المجتمع الطاهر ولكن ماذا أفعل لأهلي وأصدقائي الذين كنت أنهاهم عن المعاصي والمنكرات ثم أعود فأمارسها معهم فكيف أعود وأنهاهم من جديد بأي وجه أقابلهم لا يمكن أن أعود إلى هذا الطريق الذي سيعرضني لمثل هذه الإحراجات، ولا يمكن أن ألتزم فلا آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر فأرجوك أن تتركني على هذا الحال

الذي أعيشه فقلت له: اتحرم نفسك من هذا الطريق خشية من كلام الناس هل تظن الناس سيتركونك على حالك عندما تركت الإلتزام فقد وصفوك بالمتذبذب إن الملتزم والمنتكس لن يسلم من كلام الناس ولن يخلو من أمرين:

أ ـ عندما تترك الإلتزام فسوف يصفك أهل الخير وأصدقاؤك القدامى بالمتذبذب ولا أظن كلامهم هذا إلا عقوبة عاجلة والله أعلم بالآجلة.

ب ـ عندما تعود للحق الذي فزعت عنه فسيلمزك أهل السوء وسيصفونك بالمتذبذب فاصبر على قولهم فإنه لك ابتلاء ولكن صاحبنا منعه حياؤه المزعوم من العودة إلى الحق نسأل الله لنا وله الهداية.

إننا بهذا نخلص إلى أن هذا عائق ولكنه عائق وهمي فمن الذي يسلم من كلام الناس وورد أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يارب إني اسألك ألا يؤذيني أحد ولا يسبني فقال الله له: ذلك ما جعلته لنفسي ياموسى.

فخالق الناس لم يسلم ومن أذاهم من سبهم فكيف بك أيها العبد الضعيف أتترك الالتزام بسبب هذا إنك مخطيء ولا شك فصحح خطأك ولا تتماد في غيك فإن الاعتراف بالخطأ خير من التمادي في الباطل.

وعليك يا أخي أن تستحي من ربك حق الحياء، وأن لا تجعل الحياء من الناس سبباً في انتكاسك وتركك لطريق الالتزام ولتعلم أن الله أحق أن يستحيى منه.

١٨ - حب المال وخوف الفقر

المال من أعظم الفتن التي تواجه الإنسان فكم من رجل سلم دينه وباعه بحفنة من المال، وكم من إنسان ضحى بدينه خوفاً على منصبه وخشية على رزقه.

يقول الأستاذ فتحي يكن: إن الذين يتساقطون على طريق الدعوة بهذا السبب كثيرون، ولكن القليل الذين يعترفون بذلك ويشعرون.

إن القرآن الكريم مليء بالكثير من الآيات التي تشير تلميحاً وتصريحاً إلى هذا الداء العضال الذي قد يجرد المؤمن من إيمانه ويلقي به في هاوية من الضياع ليس لها قاع. قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا

(١) سورة الفتح، الآية: ١١.

وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [١].

قال ابن حزم: هذه صفة أوردها الله يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه.

ومن المفيد أن أذكر هنا أنه قد اشتهر على الألسن أن هذه الآية نزلت في الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب وهذا غير صحيح، ولقد قام أهل العلم بتفنيد هذه القصة ومن ذلك ما كتبه الأستاذ عداب محمود الحمش بعنوان (ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه).

وأعود فأقول إن المؤمن الحقيقي عليه أن يعرف أن أموال الدنيا لا تساوي شيئا أما المحافظة على هذا الدين

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [٣] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [٤].

إن على المؤمن أن يعلم أن الأموال والوظائف والمناصب فانية

---

(١) سورة التوبة الايات: ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) سورة المائدة، الاية: ٣٦.

(٣) سورة ال عمران، الاية: ١٠.

(٤) سورة الشعراء، الايتان: ٨٨، ٨٩.

وأن الآخرة باقية وأن حبه للدنيا وإيثارها على الآخرة سيجعله يندم بلا شك ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[١].

أصـــون دينـــي بمـــالي لا أدنســـه
لا بـــارك الله بعـــد الـــدين بـــالمـــال

فالمال لا خير فيه إذا كان الثمن هو الدين، ولا عليك يا أخي فإن الرزق بيد الله ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾[٢].

صاحب محل يترك الصلاة خشية أن يفوته زبون مدير أو موظف يداهن في الدين خشية فصله.

رجل يعمل بالحرام ويرتكب الحرام طمعاً في الراتب كل من آثر الدنيا على الآخرة بأي شكل من الأشكال خسران إن المنتكسين بسبب هذا كثيرون وكثيرون لكن يظل قارون أشهر من انتكس بسبب زخرف الأموال وبهرجها وغيره كثير.

إن العاقل ليعجب ممن باع الدين واشترى الدنيا والله يقول: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝٤١﴾[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾[٤].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.
(٢) سورة الذاريات، ٢٢، ٢٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩ ﴾[1].

دنيا وأرخصوا من أجلها العليا
فيا بؤساً لبيع المشتري والشاري

وقال ابن المبارك:

يا جاعل العلم له بازياً
يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما
كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها
عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك فيما مضى
في ترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فماذا هكذا
زل حمار العلم في الطين

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩.

١٩ـ ضغط الزوجة

قد يستغرب بعض القراء هذا السبب ولكنه واقع ملموس له أثر في انتكاس أعداد هائلة من الشباب الذين تركوا الدعوة إلى الله والالتزام بسبب الزواج ذكر الأستاذ فتحي يكن هذه القصة في كتابه المتساقطون واكتبها هنا بتصرف: أعرف أخاً كان قبل زواجه مقداماً معطاء فتزوج امرأة سيئة وضعت الموت والفقر بين عينيه، فكانت كلما انجبت غلاماً ذكرته بحقه المادي عليه وأن عليه مضاعفة السعي من أجله، فلما تكاثرت ذريته وامرأته على هذه الحال سقط، وأصبح محباً للدنيا «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتفش» ولقد روى عن الحسن أنه قال: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار أ.هـ وذلك الشخص الذي كان نشيطاً في طلب العلم وحضور دروسه فلما تزوج لم يعودوا يرونه في حلق العلم فسألوا عنه وبحثوا فقال أحدهم: لقد مات في حضن زوجته يرحمه الله!.

لقد آثر كثير من الدعاة حب زوجته وطاعتها على الاستقامة ولزومها، يتنازل عن كثير من الأمور الشرعية من أجلها كإحضار السائق لها، وإدخال الحرام إلى بيته تقرباً إليها، فبعدما كان بيته

خالياً من التلفاز أصبح الدش بجميع قنواته الفضائية يحلق فوقه، عق والديه من أجلها، وقصر لحيته أو حلقها ليظهر بزينة - كما يزعم - أمامها، هجر الصالحين ومجالسهم من أجل مجالستها، ترك حفظ القرآن الكريم، ودخل أماكن الاختلاط، وترك الصدقة والزكاة وماعليه من حقوق وواجبات طلباً لمرضاتها.. وتحقيقاً لرغباتها.

إن ما سبق ذكره حقائق ناصعة يشهد لها التاريخ والواقع، لكن أين الرجال الذين لا يثنيهم شيء عن طرق دعوتهم؟ أين الذين إذا ابتلوا بمثل هذه الزوجة سارعوا إليها لتتوب إلى الله أو ليحصل الفراق بينهما؟

على المسلم أن لا يتهور عند زواجه وينظر إلى الجمال فقط ويندفع وراءه.

قال الرسول ﷺ **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[1].

إنمـــا الأمـــم الأخـــلاق مـــابقيـــت
فـــإن همـــو ذهبـــت أخـــلاقهـــم ذهبـــوا

أين المسلم الذي يبحث عن زوجة توقظه لقيام الليل وصلاة الفجر؟ أين الذي يبحث عمن تعينه على أمور دينه ودنياه لا التي تذهب آخرته وتفسد دنياه وتكون هي الآمرة الناهية سواء علم أو لم يعلم؟ رضي أو لم يرضى.

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب الاكتفاء بالدين جـ٧/ ٩.

ولا يظن القاريء أنني أشن حملة على الزوجات لأن فيهن الكثير من الصالحات الداعيات اللواتي غيرن من أحوال أزواجهن وكن السبب في هدايتهم بعد الله إلى الخير والصلاح والدعوة إلى الله ونعرف من هذا الصنف الكثير، لكن أيضاً الصنف الأول موجود بكثرة لا ينكره عاقل يعرف أحوال مجتمعه.

٢٠ ـ عدم تحمل ضغط الأهل

وهذا السبب قد يكون من أهم الأسباب التي تؤدي إلى انتكاسات الشباب لأن العاطفة الخاطئة التي تصدر من الآباء والأمهات تنجح كثيراً في صد أبنائهم عن الالتزام، ومن يعمل في مجال الدعوة لا يسلم غالباً من ضغوط الأهل لصده عن سبيل الحق وخاصة في بداية التزامه وأسباب هذه الضغوط كثيرة منها:

ا ـ الخوف على الأبناء وهذا الخوف غالباً مايكون وهمياً لا حقيقة له وعندما تسأل الأب ماهو الشيء الذي تخاف على ابنك منه؟ تجده يحار في الجواب.

وقد يكون مصدر هذا الخوف ما يتعرض له الدعاة إلى الله من إبتلاء وأذى ولا يريد الأهل لأبنائهم مثل هذه الأمور.

ب ـ قد يكون الأب أو القريب صاحب معاص وشهوات وعندما يلتزم الابن سوف يحول بين والده وبين مايشتهي من مجون ـ خوف الأب على مستقبل ابنه العلمي والدراسي لظنه أن الدعوة ستحول بين ابنه وبين هذه الأمور وماعلم هذا الأب أن التقوى سبب للرزق والتفوق بإذن الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[(١)] .

والواقع يشهد بذلك حيث تجد المتفوقين في المدارس غالباً من أصحاب الالتزام والصلاح ولله الحمد والمنة.

د - الحسد وقد يستغرب القاريء هذا العنوان وأقول له لا تعجب فإن الحسد شر وبال وحسد الأقارب معروف ومشهور، ولكي أقرب هذا المفهوم إلى الذهن أقول عندما يرزق الإنسان بأمور دنيوية من مال ومنصب وجاه فقد يكون عرضة للحسد والغيرة وخاصة من قرنائه وأقاربه وهذا أمر لا جدال فيه.

فإذا اتفقنا على ماسبق فلابد أن نعلم إذاً أن الهداية والإلتزام والعلم والفقه أمور محمودة وصاحبها يشار إليه بالبنان لذا فإنه عرضة للحسد أكثر من غيره، فلماذا نستغرب الحسد من القريب لقريبه في أمر ديني ولا نستغربه في أمر دنيوي، إن ابن آدم عندما حسد أخاه لم يحسده لأمر دنيوي بل لأمر ديني حيث تقبل الله منه مالم يتقبل منه هو فحسده على هذا القبول عند الله فقتله.

وهذا الحسد يصدر غالباً من الأخوة والأقارب أما الآباء والأمهات فلا أتصوره.

وما قصة يوسف عليه السلام إلا دليلاً وماحصل له من إخوته إلا برهاناً أكيداً.

---

(١) سورة العنكبوت، الاية: ٦٩.

ومصدر هذا الحسد أن القريب يخشى أن تكون عالماً بارزاً مقدماً في المجالس وهو نكرة لا يعرف لذا فلا بد أن يحول بينك وبين هذا البروز.

إن التاريخ مليء بقصص وحوادث وأخبار من تحملوا هذه الضغوط وصابروا عليها تمسكاً بدينهم.

ولعل من أجل هذه الأمثلة وأبرزها قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث واجه ضغوط من من والده ومن قومه لمنعه من نشر الدعوة والتمسك بها ولكنه رفض الرضوخ لهذه الضغوط واستمر على منهجه مضحياً بنفسه وماله من أجل دينه لذا أثنى الله عليه فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[1].

فلم ينجح والد إبراهيم وقومه في صده عن هذا الطريق بل إنه بذل الجهود لدعوتهم للتوحيد وعبادة الله قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾[1].

إن البيئة الفاسدة لم تمنع إبراهيم من التمسك بدينه والمحافظة عليه بل بدأ يخص والده بالدعوة مع تهديده له بالطرد ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2]

أخي الحبيب هل خارت قوى إبراهيم عند الشدائد؟ هل ضعف إيمانه؟ لا بل واصل المسير وتحمل الكثير من أجل هذا الدين بل وقدح في معبودات قومه﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾[3] لابد أن تعرف أن الأب يجب أن لا يطاع في معصية الله وأن لا يرضي المخلوق في غضب الخالق مهما كان هذا المخلوق، إن رضى الله هو مطلب كل إنسان عاقل.

فليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذي فوق التراب تراب

وقد يقف قاريء فيقول أتقارننا بالأنبياء فأقول لا، ولكن نأخذ

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٤١ ـ ٤٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٤.
(٣) سورة الصافات، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

منهم العبر والدروس لقد جعل الله إبراهيم والذين معه أسوة حسنة يحتذي بهم كل مسلم وسوف أذكر بعض قصص الصحابة في هذا المضمار وتضحياتهم فلقد أورد الذهبي في سيره عندما ترجم لسعد بن أبي وقاص مايلي:

قال سعد نزلت في هذه الآية: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾[1] فقد كنت براً بأمي فلما أسلمت قالت ياسعد ماهذا الدين الذي قد أحدثت لتدعنه أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال ياقاتل أمه. قال: فقلت لا تفعلي ياأماه إنني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب وأصبحت وقد جهدت فلما رأيت ذلك قلت يا أماه تعلمين والله لو كان لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً، ماتركت ديني، إن شئت فكلي أو لا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت.

هذه أمه استغلت العواطف لثني ابنها عن الإسلام استخدمت أسلوباً ماكراً لتحرك عواطفه نحوها، ولكن الإيمان الصادق لا تصده هذه العواطف ولا غيرها.

ثم ننتقل إلى صحابي آخر له قصة قريبة من هذه القصة إنها قصة مصعب بن عمير الشاب المدلل في الجاهلية وأكثر أهلها عطر الذي ضحى بوالدته ومالها ليظفر بالإسلام عندما يقارن الإسلام بكنوز

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥.

الدنيا فإنه المنتصر.

إن قصة مصعب نبراس يستضيء به الشباب إنه رائعة من الروائع وبطولة وتضحية اجتازها مصعب بامتياز، وأصبحت مثلاً لكل الأجيال. أم تبدأ خطوات ومراحل متعددة تندرج فيها لصد ابنها عن الإسلام فتهدده بحرمانه من الميراث والمال والذي ترك بسببه الآلاف دينهم ثم تهدده بإيذاء نفسها لعلمها بمدى حبه لها ثم انتقلت إلى مرحلة عملية وهي ايذاؤه ولكنه صبر واحتسب إن كل هذه المحاولات لم تنجح مع من دخل الإيمان في قلبه.

إن السر في صبر هؤلاء هو بكل بساطة أن هؤلاء يعلمون مدى المصاعب والمتاعب المصاحبة لهذا الدين فهو طريق مليء بالأشواك والأكدار والمصاعب والمتاعب لذا رأوا أن التضحية والصبر هي الطريق الوحيد للتمسك به والانتصار لذا سلكوا هذه الطرق الوعرة وإجتازوها بنجاح.

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾(١).

لا تعتقد أخي الحبيب أن الاقتداء بهم صعب.. بل هو يسير وسهل لمن صدق مع الله ولمن رغب في الثمن.

وأعود إلى سير هؤلاء الأفذاذ الأبطال أصحاب محمد ﷺ وأقف متعجباً مع بطولة وتضحية وصبر أبي جندل رضي الله عنه الذي تعرض لابتلاء صعب وصعب جداً عذبه والده وآذاه مستغلا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

زعامته لقريش وأولاه التنكيل والتعذيب ورغم ذلك لم ينجح في صد ابنه عن الإسلام وكيف ينجح أي أحد في صده إذا كان الإيمان وقر في قلبه وأحس بلذته؟

ثم تعرض لفتنة أخرى قد تكون أشد وأنكى ولكنه تحملها أيضاً فقد سلمه الرسول ﷺ للمشركين وفاء بالعهد وإليك القصة: قال ابن هشام: جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا ﷺوهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكوا، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ثم قال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت فجعل يجره بتلابيبه ليرده إلى قريش وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى مابهم. فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنما المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويدني قائم السيف منه قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فظن الرجل بأبيه ونفذت القضية.

فيا أيها المسلم أين أنت من هؤلاء من صبرهم وتضحياتهم وتحملهم الشدائد في سبيل الله، فالبدار البدار للحاق بهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالصالحين فلاح

وبعد هذا كله يتضح لنا أن الأذى مصاحب لهذه الدعوة وأن الأذى قد يكون من الأب والأم، ويتصور بعض الشباب أن والده إذا منعه من السير مع الصالحين فإن هذا من قبيل النصح ويستبعد جداً أن يكون هذا من الإبتلاء لاعتقاده أن الابتلاء لا يكون إلا من الأب الكافر فحسب وإلا لصبر واحتسب.

لذا تجد الشاب يتقبل من والده هذا المنع ولو علم أنه ابتلاء لثابر على ذلك وصابر وتحمل تبعات ذلك كله.

من أمثلة الابتلاء المعاصرة:

أ - أب يمنع ابنه من الحضور إلى صلاة الفجر والذهاب لها منفرداً بحجة أنه يخشى عليه أن يختطف والأب مع ذلك ليس عنده استعداد للذهاب معه لأنه آثر الحياة الدنيا على الآخرة.

وأقول لماذا لا يخاف هذا الأب على ابنه من الاختطاف عند الذهاب للمدرسة؟ هل هذا الخوف حقيقي أو وهمي؟ الواقع يثبت أنه خوف وهمي ومنع الأب لا يعدو أن الأب يخشى أن يقول الناس هذا الابن يصلي والأب لا يصلي ولو كان هذا الابن الذي يرضخ لوالده ذكياً لوجه السؤال لنفسه لماذا لا يخاف على ابي من الاختطاف عند الذهاب للمدرسة لعلم سبب منع والده له.

ب ـ أب يمنع ابنه من الدعوة ومن طلب العلم الشرعي ويتعذر لذلك بأنه يحتاج إلى مساعدته في تنظيم شؤون البيت أو العمل في المجال التجاري ولا شك أن الابن مطالب بمساعدة والده وتخفيف العبء عنه ولكن التوازن مطلوب فليس من المعقول أن يطالب الأب ابنه بالذهاب معه لمحله التجاري يومياً وهو ليس بحاجة ماسة له، أو يمكنه الاستغناء عنه، أيضاً ليس للأب اجبار ابنه على ذلك إذا تعارض هذا الأمر مع مصالحه الأخروية فإذا كان الاشتغال مع الوالد في أمور تجارية ستبعده عن الهدف الحقيقي من وجوده في الحياة وهو عبادة الله عز وجل أو تبعده عن طلب العلم الشرعي كحفظ كتاب الله عز وجل فإن على الابن الاعتذار لأبيه بأسلوب مناسب، أو وضع جدول بحيث يمكنه الجمع بين الدعوة وطلب العلم ومساعدة والده.

وهذه غالباً مايذهب ضحيتها الابن الأكبر «البكر».

وقد اشتكى لي غير واحد من مثل هذه المضايقات التي يواجهونها من آبائهم والقصص في هذا المضمار كثيرة والله المستعان.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على القلب من وقع الحسام المهند

ومن الغريب أن بعض الآباء لا يمارس هذه الأساليب مع ابنه إلا حينما يلتزم أما عندما كان في ضلاله وإضاعته لوقته ومصاحبته للأشرار فإنه مستغن عنه، وغير محتاج إليه في أعماله سواء في

البيت أو في التجارة أو غيرها. فشاب قال لي إن والده منعه من حفظ القرآن وأجبره على الحضور معه لمحله التجاري بالرغم من أنه لا يحتاجه أبداً.

وآخر منع ابنه من مصاحبة الصالحين بحجة أنه يريده أن يبرز في الجوانب العلمية كالطب أو الهندسة ويرى - بزعمه - أن طريق الدعوة والصلاح يمنعه من هذا البروز.

بعض الآباء يمنع ابنه من الدعوة ومصاحبة الأخيار بناء على مواقف سابقة مترسبة في الذهن وإليك الأمثلة: قد يكون شاب سائر في حياته العلمية مساراً جيداً ومن ثم صاحب الأخيار فلم يستطع أن ينظم وقته مما أدى إلى تأخره العلمي وأصبح الاعتقاد السائد لدى الأباء أن هذالتأخر بسبب السير في هذالطريق ومن هنا ينشأ عند الأب اعتقاد أن كل من سلك هذا الطريق فإن الفشل الذريع مصاحب له وهذا لا شك حكم جائر لذا تجده يمنع أبناءه الآخرين من الإلتزام بناء على هذا الاعتقاد وإليك قصة واقعية.

التحق شاب في مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم في الإجازة الصيفية وعندما بدأت الدراسة فوجئت بانقطاعه وسألت عنه فقيل لي إن والده منعه فذهبت لمقابلة والده ووجدته من خيرة الرجال فناقشته في قصة ابنه، فقال: إنه لا يمانع في عودته ولكن بشرط أن لا يحضر أيام الدراسة للمسجد فقلت له: إن هذا سيؤثر عليه كثيراً في حفظ القرآن فقال: إنني قد مررت بتجربة سابقة حيث إن الابن الأكبر منه سبق أن التحق بجماعة للدعوة وقد أثرت عليه كثيراً

وانقطع عن الدراسة فأخشى أن تتكرر التجربة وليس عندي استعداد لخوض غمارها من جديد، فأوضحت له أن السبب يعود إلى ابنك لا إلى الدعوة وأن انقطاع ابنك عن الدراسة يعود إلى شخصه وعدم تنظيمه للوقت، ووعدته بتنظيم وقت ابنه ووافق وسار ابنه مساراً طيباً واستطاع أن يجمع بين الحفظ والدراسة ولله الحمد.

قد يلتزم بعض الشباب ويتحول بين يوم وليلة إلى مفتي يحلل ويحرم ويصدر الأحكام الشرعية دون دراسة وتأمل وعلم مما يجعله حملاً ثقيلاً على أهل بيته ومن ثم ينشأ اعتقاد سيء لدى أقاربه وأهله بأن هذه التصرفات هي بسبب التزامه وسيره مع الصالحين، فيبدأ الأب بمنع أبنائه الآخرين من السير في هذا الطريق وهذا لا شك حكم جائر وتعميم ظالم فالناس معادن تختلف طباعهم ولا يمكن أن أمنع فلان بناء على خطأ فلان بل انظر إلى أصل المسألة فأبني الحكم عليه وهذا شاب يلتزم ويصبح يعامل أهل بيته بقسوة ظاهرة وتشدد واضح لدرجة أنه منع أخواته الصغيرات من التجول بسور البيت وهن كاشفات لرؤوسهن علما بأن أكبرهن لا تتجاوز ست سنين وأصبح يتدخل في جميع شؤون المنزل، وأصبح يحرم أموراً ما أنزل الله بها من سلطان حتى ضاق أهله به ذرعاً وبدءوا يدعون عليه ويسخرون منه ويذكرونه بأيامه التي كان فيها على ضلالة، وأصبح والده لا يستسيغ مجالسة الصالحين والنظر في وجوههم وصار يذمهم في مجالسه بناء على هذا التصرف الأرعن من

هذا الابن.

ويا أخي الحبيب قبل أن أختم هذه النقاط المهمة أذكرك بأمور:

١ ـ لا تطع والديك في معصية الله مهما كلفك الأمر وعاملهم بالتي هي أحسن.

٢ ـ تحمل الأذى ولا تضحي بالدين من أجل الدنيا.

٣ ـ اعلم أن ما تقدمه من تضحيات يعد قليلا بالنظر للأجر المترتب عليه عند الله عز وجل إذا صبرت واحتسبت.

٤ ـ لا تجامل على حساب دينك أحداً واعلم أن طاعة الله أولى من أي طاعة.

٥ ـ أكثر من الدعاء لوالديك بالهداية والصلاح.

٦ ـ أكثر من العبادة والتضرع.

٧ ـ كن قدوة صالحة حسنة لأهل بيتك.

٨ ـ تنازل عن حقوقك الشخصية.

٩ ـ كن أبر إخوانك بوالديك واحرص على كسبهما لجانبك.

١٠ ـ لا تثقل كاهل والديك بكثرة الطلبات واقتنع بالقليل.

١١ ـ حاول الجمع بين مصالح أهلك ومصالح دعوتك فالتوازن أمر مطلوب ومحمود.

٢١ ـ ضغط البيئة

إن للبيئة ولا شك آثاراً على أهلها ولذا نهى النبي ﷺ عن معاشرة المشركين ومجالستهم والسكن معهم حماية للمؤمن من أن يصاب في دينه، قال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم فاعتصم ناس بالسجود فأسرع فيهم القتل فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا يارسول الله: لم؟ قال: لا ترايا «ترآي» نارهم**[(١)]

إن السر في هذا المنع ما قد يصيب المؤمن من تأثر من هذه البيئات الفاسدة التي ضاعت فيها المباديء والأخلاق والأديان فأصبحت مجتمعات بهيمية أسمى أهدافهم تحقيق رغباتهم ونيل شهواتهم ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾[(٢)].

لذا فلا يجوز للمسلم أن يسافر إلى هذه البلدان إلا لضرورة كالعلاج أو الدراسة أو التجارة وهذه الضرورة لها ضوابط شرعية ليست مجالا لبحثنا وإنني هنا أتحدث عن الآثار السيئة التي تحدثها

---

(١) عون المعبود جـ٧ باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود ورواه سعيد بن منصور في السنن (٢٦٦٣).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

هذه المجتمعات غالباً على من يعيش فيها فمثلا: أعرف رجلاً ملتزماً محافظاً على دينه راعياً للأمانة التي استرعاه الله إياها مثالاً يحتذى به، فهو محل للتفوق في جميع شؤون حياته ولقد استطاع هذا الرجل في فترة وجيزة من التزامه أن يحول بيته إلى مجتمع مثالي خال من جميع آلات اللهو والفساد، وأمر أهله بالحجاب ومنعهم من الاختلاط بغير المحارم وجلب الكتب والأشرطة النافعة لهم وسايره التفوق في عمله كذلك مما جعله يرشح لدوره عملية في مجال تخصصه في احد بلدان الكفر، فوافق عليها دون تردد ودون أن يحسب أي حساب لما في هذه البلاد من فتن وفساد وسافر فعلا اليها فانخدع بهذا المجتمع الكافر واعجب بأهله وببريقه الزائف، وانتهت دورته وعاد إلى أهله وقد امتلأ قلبه بصور شتى من الانحراف وحول البيت الصالح الى مجتمع جاهلي واستهزأ بمباديء الالتزام وأهدر قيم الدين وأصبح بيته مثالاً سيئاً ووكراً للفساد، ولا شك أن هذا من تأثير البيئة والنظر إلى الأمور بسطحية وذكر الأستاذ فتحي يكن أن رجلاً سافر إلى أمريكا وكان مثالاً للمسلم في بلده وقدوة حسنة بين اخوانه ولكن مكثه في هذا البلد الكافر بضع سنين حوله إلى إنسان آخر، لا يمت إلى ماضيه القديم بأي صلة فلقد أثرت البيئة الفاسدة عليه فافقدته كل بريق كان يتحلى به قبل سفره.

وآخر سافر إلى نفس تلك البيئة فلم يستطع الصمود اكثر من سنة غرق بعدها بالمعاصي إلى ما فوق أذنيه ثم انقطعت أخباره

واختفت آثاره ولازلت حتى اليوم أذكر رسائله التي راسلني بها بلوعه في عامه الأول وهي مليئة بالنقد والتعريض للعاملين في مجال الدعوة ثم كانت نهايته السيئة بالإنحراف والله المستعان ا.هـ.

وقد يتساءل سائل فيقول: ماهي العوامل التي تؤدي إلى حصول هذه الانهزامات والانتكاسات فأقول:

أ ـ هناك من لا يعي خطورة الوضع وصعوبة الطريق وثقل الحمل عندما يعيش في هذه المجتمعات فلم يعد للأمر عدته عند ذهابه لتلك المجتمعات فتجده يسقط عند أول اختبار. إن طريق الالتزام مليء بالأشواك التي من لم يتحملها فمآله الخسارة والهلاك.

ب ـ هناك من يكون التزامه غير مبني على أساس صحيح فقد تكون عنده بعض الشبه والانحرافات الخلقية والسلوكية فهذا يسقط عند الاختبار الأول ذلك لعدم وجود الاساس القوي من الدين الذي يردعه عن مفارقة هواه ونيل شهواته.

جـ ـ هناك من يكون التزامه من قبيل العادة والمحاكاة لمجتمعه الذي يعيش فيه فبمجرد انتقاله من هذه البيئة إلى بيئة أخرى تجده يسقط سقوطاً ذريعاً لأن التزامه إنما كان بناء على عوامل الخجل والتقليد وبزوال السبب يزول المسبب فأين المراقبة.

د ـ قد يكون سبب هذا الانحراف تغييره لجلسائه في بيئته الثانية حيث يستبدل بأهل العلم والدعوة أهل الكأس والغانية وهنا بداية السقوط ومما يذكر أن حسن البنا كان اذا ودع أحد إخوانه إلى بلاد

الاغتراب والدراسة أو العمل حذره من اثنين المرأة الأولى والكأس الأولى.

٥ ـ عدم الخوف من الفتنة وأخذ الحيطة والحذر لأن عدم عمل أي حساب لما في تلك البلاد من انحرافات ايذان بالسقوط إلا أن يشاء الله.

وأختم هذا بهمسة لأبناء المسلمين الذين هم عنوان خير وصلاح ورمز للدعوة والدعاة فأقول لهم إن منكم من يتمسك بالاسلام في بلده وبمجرد تحوله إلى غيرها من بلدان الكفر أو حتى غيرها من بلاد المسلمين تجده يتحول إلى إنسان آخر إن من أبناء المسلمين من يرفض الاختلاط ويتأفف منه ويجبر أهله على التستر والتحشم وهذا أمر طيب ولله الحمد لكنك تجد هذا الأخ عندما يسافر خارج بلده لا يمتنع عن دخول أماكن الاختلاط بنفسه وربما اصطحب أهله معه كذلك.

وأضرب لك مثلاً بشاب صالح من سكان الرياض تقياً ورعاً فيما يظهر لنا، ومن المتحمسين للدعوة وممن أظهر الناس له القبول، وعندما يذهب إلى جدة مثلاً تجده يتخلى عن قيمه ومبادئه، فتجده يسمح لنفسه بمشاهدة القنوات الفضائية في مقر سكنه مع ماتحمله هذه القنوات من مفاسد وتجده لا يمانع من جلوس أهله على الشاطيء مع ما في ذلك من اختلاط دون اكتراث أو مبالاة بذلك.

لماذا هذا الشاب يرفض الاختلاط بكافة صوره وهو في بلده

ويرضاه عندما يتحول منها؟ هل رفضه في السابق تقليد وعادة بغض النظر عن كونه امر شرعي يجب عليه التمسك به؟ إنها أسئلة تحتاج الى من يجيب عنها.

بعض هؤلاء لهم حجج فمنها أن هذه فترة مؤقتة وهي لا تعدو كونها سياحة وترفيه عن النفس لا أقل ولا أكثر؟ عذر أقبح من فعل..

فأقول لهم: هل يرفه المسلم عن نفسه بما حرم الله عليه؟ هل مشاهدة أفلام العهر والمجون للترفيه عن النفس؟.

إذا كنت تدري أن هذا حرام فلماذا تقبل عليه.

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

لماذا يلبس الملتزمون زي غيرهم من الفساق عند انتقالهم إلى بلاد غير بلادهم، إن هذا من أهم أسباب الانتكاس لما يزرعه في القلب من أمراض خطيرة تتفجر بين الفينة والأخرىٰ يقول لي أحد الأحباب أن صديقه إذا ذهب للشرقية. نعم الشرقية هذا المكان القريب من بلده وفي بلد التوحيد لا يمنع زوجته من التبرج، بل ويتحول إلى إنسان آخر، وقح سمج لا دين ولا خلق ولا مراقبة والله المستعان.

وبسبب هذا وأمثاله أصبح الملتزمون نماذج لا يحتذى بها إن هناك من الملتزمين من يتحول إلى مراهق عندما يغادر بلده ولو

بمقدار ميل أو فرسخ.

إن على المسلم الحق أن يعرف صعوبة الطريق وأن يراقب الله في سره وعلنه وفي حله وترحاله، ولا يرضخ لشهوات نفسه ورغباتها الجامحة، وباختصار عليه أن لا يحمل شخصيات مزدوجة تؤدي أدواراً معينة في أماكن معينة فهو في بلده التقي النقي الصالح المصلح وفي غير بلده الفاسق الفاجر صاحب الشهوة والرذيلة.

وغالباً ما تكون نهاية هؤلاء نهاية مؤسفة، انتكاسات وفضائح في الدنيا والآخرة لأن أصحاب الازدواجية لا يستمرون طويلاً. وسقوطهم أمر محتم لا محالة وهو بالنسبة لهم غير مفاجيء لكن المفاجأة تكمن فيمن يعرفوهم ويحسنون الظن بهم فيصدمون لما أصابهم.

والعلاج لمثل هذه الحالات يحتاج إلى عزيمة وقوة إرادة من الإنسان نفسه ويحتاج إلى تعقل في اتخاذ القرارات خاصة في السفر للخارج.

فلا بارك الله في شهادة تتسبب في انحراف المسلم عن دينه ولا نفع الله بمال في الدنيا يتسبب في إفلاس صاحبه في الآخرة.

وأعود فأقول إن هؤلاء قلة بالنسبة لغيرهم ولله الحمد لكن عليهم دراسة واقعهم جيداً ومن جديد لأننا لا نريد أن نخسر أي شخص يدعو إلى الله تعالى.

٢٢ـ عدم التكيف مع الأوضاع وعدم الاقتناع بتغير الأحوال

وهو من الأسباب المهمة التي تؤثر على سير الملتزمين وتغير أحوالهم، والسبب في هذا الجانب هم الدعاة في الغالب حيث يكون لبعضهم دور مؤثر دون أن يشعر بذلك بسبب الاندفاع الزائد من بعضهم وعدم التوازن. ولكي أدخل في صلب الموضوع أقول:

إن للدعاة أساليب مختلفة في الدعوة إلى الله ويغلب على بعضهم الحماس الزائد في الدعوة واعتبار المدعو غنيمة لا يمكن التفريط فيها، وأن خسارتها تعتبر انهزاماً للإسلام والمسلمين ويبالغ في المحافظة عليه حتى يصيب هذا الداعية الملل من جراء ذلك التدليل ومن ثم يترك هذا الضعيف الذي أحس بتخلي هذا الداعية عنه مما يؤثر على نفسيته ويجعله يترك الإلتزام كردة فعل متوقعة بسبب هذا التحول المفاجيء في التعامل معه، وسأذكر بعض الأمثلة لهذه التعاملات الخاطئة:

١ ـ الاكثار من الزيارة بشكل مبالغ فيه.

٢ ـ المبالغة في تقديم الخدمات كالطعام والشراب والوقوف فوق رأس المدعو بصورة غير مستساغة.

٣ ـ الاكثار من المزاح والبعد عن الجد لدرجة يفقد خلالها الداعية

هيبته واحترامه.

٤ ـ القيام بغسل ملابس المدعوين وكيها وأخذ نصيبهم من الأعمال في الرحلات وغيرها بشكل لا يخلو من التكلف.

٥ ـ الاكثار من الهدايا التي ترهق كاهل الداعية بشكل مبالغ فيه.

فعلى الداعية أن يعرف التوازن في هذه الأمور والاعتدال ولا يظن ظان أنني أرفض هذه الطرق في التعامل ولكن أدعو إلى التوازن والاعتدال فيها.

كما أن لبعض الدعاة أساليب أخرى غير مستساغة كخدمة المدعوين بصورة غير مقبولة لا عرفاً ولا عقلاً كقيام بعض الدعاة بالتقرب إلى المدعو بتدليك ظهره وقدميه وربما قص أظافره كل هذا يحدث بحجة التأليف والتقريب للمدعو؟!.

وبعضهم لا ينبه المدعو للأخطاء التي يقع فيها ويأثم بفعلها بحجة عدم تنفيره ومن أجل تأليف قلبه وقد تكون هذه الأخطاء في حقوق الله تعالى كسماح بعض الدعاة للمدعوين بشرب الدخان والخمر وسماع الغناء، بل إن بعض الدعاة قام بدعوة شارب خمر فاحتفظ له بزجاجة الخمر وسلمها له بعد الصلاة؟!!، ولا شك أن هذا فيه اعتداء على حق الله تعالى والغاية لا تبرر الوسيلة، وفيه من التعاون على الاثم والعدوان واضاعة حدود الله الشيء الكثير فمهما كانت المبررات من بعض الذين يعللون ذلك بقولهم إننا إذا لم نسمح لهم بذلك فإنهم لن يصلوا، فأقول: وهل هذا المبرر كاف

لمساعدته على منكره؟

إننا لا يمكن أن نقبل منه الإسلام بشروط يشترطها هو: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾[١] وخير شاهد على ما ذكرت قصة ذلك الرجل الذي أراد أن يسلم بشرط أن يسمح له رسول الله ﷺ بالزنا فرفض ﷺ ذلك ووجهه التوجيه السليم[٢]

وقد يكون المنكر فيه اعتداء على حقوق البشر كالغيبة والنميمة والسب والشتم وتجد الداعية يتنازل عن حقه ويطالب والآخرين بالتنازل عن حقوقهم وهذا أمر طيب وحسن ولا شك ولكن بشرط النصح والإرشاد لهم وعدم الاقتصار على العفو فقط لأن بعض الدعاة يتكلف في قبول مثل هذا ثم ينقلب فجأة ويعامل المدعو بصورة معاكسة تماماً غالباً ماتكون نتيجتها ردة فعل عند المدعو، كان بإمكان الداعية تحاشيها لو سلك طريق الاعتدال والتوازن لذا انبه الدعاة حفظهم الله من هذا التغير المفاجيء في أسلوب الدعوة الذي يؤثر غالباً على نفسية المدعو، خصوصاً إذا علمنا أن من يمارس معه هذا الأسلوب يكون التزامه غالباً قد بني على قواعد هشة فيكون عرضة للسقوط عند أول صدمة فاحذروا يادعاة الإسلام.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) رواه أحمد في المسند.

ولكي ازيد في تقريب هذا المفهوم أضرب مثلاً واقعاً لتكلف بعض الدعاة حيث انضم أحد الشباب إلى جماعة التبليغ وتأثر بأساليبهم في الدعوة ـ وأنا لا أقدح في كثير من أساليبهم ـ وأحب أن يمارس هذا الأسلوب في الدعوة، فانضم إلى مجموعة من الشباب وقام بخدمتهم بطريقة غريبة، لا تخلو من مشقة وكلفة حيث كان يبذل جهود مضنية لإراحتهم وأذكر منها أنه يرفض ممارسة النشاط الرياضي معهم في الرحلات من أجل أن يقف خلف الملعب ويقوم بإحضار الكور إلى زملائه ويقدم لهم المياه الباردة وماء الوضوء والغسيل بعد اللعب بصورة متعبة ومرهقة له، لذلك لم يتحمل هذه الأمور التي اعتاد عليها زملاؤه منه فتركها فجأة مما جعله مجالاً للنقد وعرضة للمز ونفروا منه لأنهم أحبوه من هذا الجانب الذي برز به أمامهم ثم تركه فجأة فوصفوه بالمتذبذب!!

ومن الملاحظ إنه ما إن يلتزم مشهور إلا ويتسابق الدعاة إليه ويبجلونه ويقدمونه للناس على أن التزامه نصرة للإسلام ويتبارون في خدمته واصطحابه معهم في كل مكان حتى لا يتركوا له فرصة للتفكير في وضعه الذي كان فيه ويقارنه بالذي هو فيه الآن، وهذا بلا شك صادر من حبهم وحرصهم على الدعوة إلى الله، وأنهم يريدون أن يبينوا للناس أن توبة هذا الفنان مثلا اعترافاً منه بخطئه، وتركه لزملائه السابقين دليل على ذلك وحث لهم أن يحذوا حذوه لينالوا ما ناله.

ولكن هل يستطيع الدعاة تحمل مثل هذه الأمور والاستمرار عليها؟ الجواب بلا تردد: لا، فتجد هذا المسكين فجأة وحيداً يشعر بالفرق بين المرحلتين في أول التزامه والآن بعد أن كان دائماً مع إخوانه في كل مكان يجد نفسه وحيداً لا أنيس ولا جليس فلا أهل الخير معه ولا أهل الشر معه لذا تجده يفكر طويلاً ويشعر بهذا الجفاء فتكون ردة فعله عنيفة حيث يفاجأ الناس بانتكاسه، وقد يشعر الدعاة الذين طاروا به ثم تركوه فجأة بحرج شديد أمام الناس بسبب كلماتهم البراقة وحديثهم المبالغ فيه عنه عند أول إلتزامه، فهل كان للدعاة أن يواجهوا مثل هذه الاحراجات لو بدأوا معه بتوازن واعتدال؟ ويذكر الأخ عادل عبد العالي في شريط له قصة أحد الشباب الذي تعرف على شاب في مركز صيفي فبدأ يكثر من زيارته والاتصال به حتى شعر هذا المدعو بسعادة غامرة وحب شديد لهذا الداعية الذي ملأ عليه حياته وشغل وقته ولكن بعد فترة من الزمن ينقطع ذلك الداعية لانشغاله بمدعو آخر فكانت النتيجة هي انتكاس الأول والله المستعان.

وعليك يا أخي القاريء أن تعلم أنني لا ألقى اللوم على الدعاة فقط فهذا ليس صحيحاً بل اللوم الحقيقي على المدعو الذي كان عليه أن يخلص التزامه لله وأن لا يربطه بفلان ولا علان، وأن يبادر بتربية نفسه ذاتياً وأن يتخذ من الدعاة نماذج يحتذى بها ويرجع إليهم إذا ادلهم الأمر. بل إن بعض المدعوين يدخله الغرور

من هذا الجانب حيث يشعر أن الدعاة والدعوة لا يمكنهم الاستغناء عنه وأصبح يمن عليهم بالتزامه وتمسكه ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[1].

ومن أخطاء الدعاة الوعود الكاذبة أو الخاطئة ويعذرني الأخوة على هذا العنوان لكن هذا مايحدث فعلاً عند البعض.

يأتي داعية إلى رجل ابتلي بالعمل في البنوك الربوية فيذكره بربه ويبين له حكم العمل في هذه الأماكن وحرمتها، وقد يتأثر المدعو فيشكو للداعية قلة ذات اليد وأنه يتمنى عملاً شريفاً يقتات منه، فيقوم الداعية من حماسه الزائد وحبه للخير باعطائه العهود بأن يبحث له عن عمل أو يقول له عندي وظيفة راتبها أحسن من راتبك المحرم وهنا يترك هذا عمله فلا يفي الداعية بوعده لعدم قدرته على ذلك، وهنا يصاب المدعو بصدمة لعدم تصوره أن يخلف هذا الداعية وعده فيرجع إلى ماكان عليه. أما كان الأجدر بهذا الداعية أن يمارس معه أسلوب التخويف من الله وربطه بالله ودعوته للتوكل عليه بأن يبين له أن الرزق بيد الله ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2] وأن العمل ماهو إلا وسيلة فلا تجعل وسيلتك إلى رزقك غضب الرزاق سبحانه، ويبين له أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وليس

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

شرطاً على الداعية أن يتكفل له بعمل بديل ولكن لا مانع من مساعدته قدر المستطاع وعليه أن يبين له أنه لا يجوز له العمل بمثل هذا المكان حتى لو لم يجد عملاً فعليه تركه دون تردد ولو أنه عمل حمالاً فهو أشرف وأفضل له عند الله.

وليحذر الداعية من إطلاق الوعود الكاذبة نتيجة حماسه ورغبته في انقاذ المدعو من النار.

والأدهى من هذا أن يقوم الداعية بعد ذلك بالتهرب من المدعو فلا هو وفى بعهده ولا هو اعتذر له بعدم مقدرته على ايفائه حتى يبحث هو بنفسه أو يطلب المساعدة من غيره.

فالله الله يا دعاة الإسلام بالمنهج الإسلامي في الدعوة إلى الله والتريث والتفكير في كل ما يقدمه الداعية للمدعو، واعلموا أن الناس يقيسون جميع الدعاة بكم بل بعضهم يحكم على الإسلام على ضوء فعلكم فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلكم.

٢٣ ـ ضعف الإيمان

بعض الشباب تجد إيمانه ناقصاً غير قابل للزيادة بسبب ما عنده من شبه وشهوات تصرفه عن الطريق، لذا فرق أهل السنة والجماعة بين الإسلام والإيمان عند اجتماعهما ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1] لذلك لما فجع المسلمون بوفاة حبيبهم ﷺ نجد الذين ارتدوا هم من حديثي العهد بالإسلام الذين لم يخالط الإيمان شغاف قلوبهم ولست بحاجة للاستطراد في هذا الموضوع لأنني فصلت فيه في التربية الروحية.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

٢٤ ـ عدم بذل الجهد للمحافظة على الالتزام

حيث أن كثيراً من الشباب لهم القدرة على تقبل البرامج المعدة وخاصة الترفيهية وتجده ملتزماً مادامت البرامج على هذا النسق وعندما تتطور البرامج عند ازدياد مدارك الشباب وهذا شيء طبيعي وبديهي تجد المنسحبين كثيرين لعدم قدرتهم على التكيف مع هذه الأوضاع لأنهم لا يريدون إلا مافيه مرح... فالذي ربطهم بالإلتزام هو المؤانسة التي يجدونها من زملائهم أو كما يحلو للبعض تسميتها بالسحر الحلال حيث تجد كثيراً من الشباب مفتوناً بجلسات الأنس ورحلات السمر التي يحرص القائمون على تربية الشباب عليها عند بداية الإلتزام من باب تأليف القلوب وعندما تتطور البرامج إلى جدية أكثر تجد أعداءها أول المنسحبين ورأس المنتكسين، فلو حمل هؤلاء الجدية وتكيفوا مع الأوضاع الجديدة ورضوا بالمراحل الانتقالية لما حصل لهم ماحصل فعلى الشاب ألا يكون أسيراً لهواه حتى لا يقع في مثل هذه المنزلقات الخطيرة.

٢٥ ـ عدم القدرة على التحمل

وهذه النقطة قد أكون تعرضت لها فيما سبق ولكن لأهميتها أفردت لها هذه الكلمات القليلة حيث نجد كثيراً من الناس يكونون أقوياء مع الجماعة وأهل ورع وديانة ويعزمون على تغيير أوضاعهم عندما يعودون إلى بيوتهم... ولكن أهواءهم تغلبهم فتجده في بيته مليئاً بالضعف والرخاوة لا يدرك مع الإمام إلا التشهد الأخير وقد لا يدركه!!.

أعرف شاباً، إذا كان مع زملائه صوام قوام وإذا خلا في بيته هجر ذلك وهو كما يظهر ليس منافقاً ولكن قدراته على التحمل وإرغام النفس على العبادة ضعيفة وقد شكا لي وضعه فذكرت له بعض الحلول منها:

أ ـ أن يتذكر الرياء وعواقبه الوخيمة.

ب ـ كثرة التضرع والدعاء إلى الله.

ج ـ الاتفاق مع أحد جيرانه لإيقاظه للصلاة.

د ـ أن يحاول أن يكون مؤذناً أو إماماً لكي يعينه ذلك على العبادة والطاعة. وهذا الداء معضلة كبرى ومصيبة عظمى وأعرف من هذا القبيل رجلاً يحمل هم الدعوة يتفطر قلبه ألماً وحسرة مما أصاب الأمة ولكنه ضعيف جداً في الجانب التعبدي بل عنده استعداد أن

يناقش قضايا فكرية لمصالح المسلمين وعنده استعداد لمحاورة رموز العلمنة ولكن ماعنده استعداد أن يصلي ركعتين نافلة بل وقد يكون ضرباً من المستحيلات أن يصلي جميع الفروض في يومه في المسجد وهذا لا شك يدل على سطحية التفكير وضعف الإيمان واليقين فإن الجعجعة إذا لم تتحول إلى واقع عملي ملموس فلا تغير شيئاً.

٢٦ - موت القلب

تجد بعض الملتزمين لا يحمل أدنى هم لأمته ولا يتأثر بمصائبها بل عنده استعداد أن يضحك ملء فيه أربعاً وعشرين ساعة!! والمصيبة أن كثيراً ممن هذه صفاتهم يحملون طيبة زائدة ولكن مشكلتهم أن الضحك والبرود وعدم المبالاة أصبح سمات بارزة لهم، فأصبح لا يفرق بين الجد والهزل لذا تجده مع مرور الوقت قد ذبل الإيمان في قلبه لأن كثرة الضحك تميت القلب وكثرة الهزل تلغي المهابة، فالرسول ﷺ كان ضحكه كما ذكر أصحابه رضوان الله عليهم تبسماً وأنا لا أطالب الشباب الملتزمين أن يتصفوا بالعبوس كعبوس مالك الغضبان كما قال القحطاني في نونيته ولكنني أقول لابد من الاعتدال في هذا الجانب ولابد أن يقضي الشاب على هذه الآفة التي تؤدي في النهاية إلى نتائج وخيمة.

أعرف شاباً كان يماشي الصالحين ولكن مشكلته تكمن في كثرة ضحكه وهزله حتى ضاق به أصحابه ذرعاً مع حبهم له فأصبح وصمة عار عليهم في المجالس حتى إنه أصبح من كثرة ضحكه يضحك من لا شيء فلما رأى زملاؤه أنه عاجز عن أن يتخلص من هذه الآفة اعتذروا له عن عدم مصاحبتهم وطلبوا منه أن ينضم

إلى غيرهم، والغريب أنه تلقى هذا الخبر وهو يضحك ومع مرور الزمن وجد نفسه وحيداً فما كان منه إلا أن انحرف وانضم إلى مجموعة من الأشرار قبلت به، وهذا نموذج كان تركه للإلتزام من جراء ترك أصحابه له لأنهم لا يستطيعون تحمله وهو عاجز عن تغيير وضعه، ولكن غير هذا الشاب ممن بلوا بهذه الآفة تجده مع كثرة ضحكه يترك طريق الأخيار باختياره لأن هذه الأفة قد قضت على أصول الخير عنده وطمست منابعه في قلبه.

إن السلف الصالح كانوا يحرصون على البعد عن الضحك والهزل ولو أحسسنا بمشاعرنا بمصائب أمتنا لما تلذذنا بالطعام وبالنساء على الفرش فضلاً عن أن يضحك أحدنا بملء فيه ولكن رحماك يارب.

٢٧ ـ الاستهزاء بالدين

إن الاستهزاء بالدين وأهله آفة خطيرة تعتبر من أحكام الردة وهي قد لا تكون في مجال بحثي ولكن ما أريد أن أتطرق إليه أن هناك من لا يشعر بخطورة هذه الآفة وأنها تخرجه من الملة.

لقد قص الله علينا في كتابه خبر أولئك المنافقين الذين وصفهم الله بالكفر بعد الإيمان وبالردة بعد الإسلام بسبب استهتارهم واستهزائهم قال ابن أبي حاتم في تفسير في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبدالله بن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبدالله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: مارأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن قال عبدالله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: «﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ

﴿وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥﴾[(١)]»[(٢)].

فاسمع رعاك الله كيف قالوا؟!! كلمات أخرجتهم من الملةِ لأنهم سمحوا لألسنتهم أن تعبر عما في قلوبهم فكانتِ النتيجة كفرا ونفاقا صريحين خرجوا بهما من الملة لأن هذه الافة تهلك من اتصف بها.

ولكي أوضح ما أريد، أقول إن من وقع في أعراض العلماء والدعاة أو استهتر بشعائر الإسلام فإنه عرضة للخروج من الملة على ضوء أحكام الشرع التي انعدم في هذا الزمان من يجرؤ على اصدار الأحكام الشرعية بحق هؤلاء المستهزئين الذين يحتاجون إلى حكم صريح بكفرهم ولما عدم أولئك الرجال فإن الله لا يترك هؤلاء القوم يسرحون ويمرحون بل يعاقبهم بصدور أفعال منهم يعلم كفرهم بها الجاهل قبل العالم والصغير قبل الكبير.

إن على المسلم أن يتجنبِ السخرية والاستهتار وأن يبتعِد عن الهمزِ واللمز. وأذكر رجلا كان يقول في مجلسه إن فلانا وذكر علما من الأعلام وجهودهِ في الدعوة فقال عنه لو ظهر الصدق لوجدت هذا الرجل مختفيا في زاوية من زوايا بيته فهو جبان عند

---

(١) سورة التوبة، الاية: ٦٥.

(٢) الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان وأخرجه الطبري من طريقه ج١ ص١٧٢ وله شاهد بسند حسن عن ابن أبي حاتم ج٤ ص٦٤ من حديث كعب بن مالك.

المواجهات، فذكرتني مقولته بمقولة أسلافه من قبل «مارأينا مثل قرائنا هؤلاء» فأصبحت بعدها لا أراه إلا من معصية إلى أخرى ومن مصيبة لغيرها.

وذكر لي أحد الأقارب أنه رأى في منامه صديقاً له مات فقال هذا الميت إنني لم أر عذاباً علي أشد من استهزائي بلحية أحد الصالحين.

وأذكر رجلاً أنعم الله عليه بالمال والجاه ولكنه أصيب بآفة خطيرة هي التندر بصغار السن من الملتزمين ويتهكم بثيابهم ويسخر بلحاهم ويتشدق بكلامه استهزاء بهم فابتلاه الله بإبتلاءات كثيرة حيث تفرق شمل أولاده ونشأت الخصومات بينه وبين أقربائه وأصابه كساد بتجارته وألزمته الأمراض فراشه فأصبح لا يزار إلا غباً!!.

إن هذا الرجل وأمثاله لم يجدوا من يوقفهم عند حدهم فعاقبه الله بهذه العقوبات.

إنك تعجب من رجل يظهر الإسلام يسلم من لسانه اليهود والنصارى وينجو من قرع سياطه الفساق والفجار ولم ينح منه أهل الخير والصلاح استخفافاً بهم واستغلالاً لضعفهم وهذا يعود بلا شك إلى جهله وحمقه وإلا فالرسول ﷺ يقول فيما يرويه عن ربه: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[١] فلو تفهم هذا الرجل نصوص القرآن لما جرأ أن يحدث نفسه فضلاً عن أن يتحدث بمثل هذه الحماقات والسفاهات ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[٣] وأختم بما قاله الشيخ عبدالله البسام بتعليقه على كشف الشبهات:

«وبهذه المناسبة يجدر بي أن أحذر بعض مغروري ناشئة المدارس من الاستهزاء بعلماء الدين وكتبه وعلومه وألا يلتفتوا إلى مايسمعون من بعض السفهاء فإنه مع الأسف يوجد في بعض الشباب المتزندقين من يجاهر بالسخرية بشعائر الإسلام ولا شك أن هذا أكبر من سخرية الذين كفرهم الله ولم يقبل عذرهم بقوله ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ حينما قالوا كلمة بسيطة في ظاهر الأمر في بعض الصالحين على وجه المزح، فالناصح يحاسب نفسه، ويصون لسانه والله الموفق» ا. هـ

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
(٣) سورة النور، الآية: ١٩.

٢٨ ـ عدم الاقتناع بالتدين

قد ينتكس كثير من الشباب ممن يحملون سمات الملتزمين لأنهم في قرارة أنفسهم غير مقتنعين بهذا الطريق وإنما السبب في مسارهم هذا إما لمجاملة أو لمصالح شخصية يريد تحصيلها أو غير ذلك وأذكر أن أحد الشباب سار مع مجموعة من الأخيار وبعد مضي سنة تقريباً انقطع عنهم وعندما سأله الأستاذ عن هذا الانقطاع تردد كثيراً ثم قال: لم أعد أطيق التحمل وأن الدافع لاشتراكي معكم هو حبي لك ومجاملتي لك ولما رأيت الأمر قد طال كان لابد من الانقطاع والمصارحة.

والذي يظهر أمام الناس أن هذا الشاب قد انتكس بناء على مظهره الخارجي ولكنه في قرارة نفسه لم يلتزم أصلاً لكي ينتكس.

وأذكر شاباً إلتحق مع مجموعة من الصالحين وسار معهم وحضر دروسهم وكان الدافع له هو أن المشرف عليهم مدرس عنده يطمح للاستفادة منه كي يساعده في بروزه العلمي وتفوقه الدراسي وبمجرد تخرج هذا الشاب من هذه المرحلة ترك الطريق وسلك مسلكاً آخر حيث انتهى مايريده من سلوكه طريق الالتزام.

ويحدثني أحد الأخوة عن شاب من عائلته قصر ثيابه وأرخى

لحيته وبدأت تظهر عليه سيما الصالحين فاستبشر به أهله وأقرباؤه ثم تقدم لخطبة قريبة له اشترط أهلها أن لا يزوجوها إلا لتقي لكنهم اعتذروا عن عدم تزويج هذا الشاب فما كان منه بعد ما تأكد من رفضهم إلا أن زار أقرب حلاق ليقوم بحلق لحيته ثم مر بطريقه على محلات الغناء ليتزود بالجديد منها وهجر الجمعة والجماعة وعند ذلك علم أهله وأقرباؤه أن التزامه كان صورياً الهدف منه الزواج من هذه الفتاة فقط!! وأعرف شاباً كان رمزاً من رموز الفسق والعصيان وعلماً من أعلام الغواية والضلال فأراد أهله أن يزوجوه وأغروه بفتاة عرف عن والدها الصلاح فلما تأكد من أن هذه الفتاة مناسبة له قرر أن يؤلف مسرحية يخدع بها والد الفتاة وبدأت فصولها بإرخاء لحيته وتقصير ثوبه ومن ثم مجالسة الصالحين حتى اشتهر أمره وتعرف على والد هذه الفتاة وهو لا يعرف عن ماضيه شيئاً وإنما عرفه بحاضره المشرق وبعد أن تأكد هذا الشاب من ثقة والدها به تقدم بشجاعة لخطبتها فوافق الأب دون تردد فهذا الشاب يحمل صفات الرجل المناسب لابنته وتم الزواج وبعد أشهر قليلة عاد الشاب إلى وضعه واسقط بيدي الأب الذي علم فيما بعد أنه الذي علم فيما بعد أنه بيدوقع ضحية لمسرحية هذا الشاب كان ثمنها ابنته وفلذة كبده فالله المستعان.

٢٩ - عدم المحاسبة

من الأسباب التي تؤدي إلى الانتكاس عدم المحاسبة وعدم الحزم في معالجة التقصير فوراً حيث إن الانتكاس يكون في الغالب تدريجياً حيث تبدأ هذه المرحلة بالتأخر عن الحضور للمسجد ثم تنتقل إلى مرحلة الحضور مع الاقامة ثم التخلف عن تكبيرة الإحرام حتى تصل إلى مرحلة التخلف عن صلاة الجماعة وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: عن أبي سعيد قال: دخل رسول الله ﷺ فرأى ناساً في مؤخر المسجد فقال: «**ما يؤخركم؟ لايزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله عز وجل تقدموا فأتموا بي وليأتم بكم من بعدكم**»[١]

فلو أن هذا الأخ بدأ بمحاسبة نفسه عند أول تراجع لما حصل له هذا الانتكاس، وبعض الأخوة يبدأ الاستئناس بمجالس غير الصالحين ويجد مع مرور الوقت قسوة في قلبه حتى يترك طريق الالتزام كلياً بسبب إهماله لمحاسبة نفسه عند أول ظهور لهذه القسوة ولم يبادر باستئصالها.

ومن صور عدم المحاسبة التي تؤدي إلى الانتكاس التراجع

---

(١) صحيح ابن خزيمة جـ٣/ ٢٧ برقم (١٥٦٠).

المفاجيء عند بعض الشباب في قضية حفظ القرآن وطلب العلم حيث يبدأ الخمول والكسل يدب إلى الشاب بالتدريج تبدأ من تخفيف كمية الحفظ المطلوب يومياً إلى مرحلة ترك العلم وحفظ القرآن بالكلية تمهيداً لإعلان انتكاس هذا الشاب فلو بادر هذا الشاب بمحاسبة نفسه عند بداية حصول الخلل لما حصلت له هذه النهاية المأسوية ولو استرسلت في سرد صور عدم المحاسبة لخرجت عن الموضوع وصلبه ولكنني أؤكد هنا أن المحاسبة أمر ضروري وهام لتثبيت الإيمان وأن ترك المحاسبة مؤذن بنهاية مأساوية لالتزام سعد به صاحبه فترات من الزمن ثم غادره وشعاره «بيدي لا بيد عمرو» والله المستعان.

٣٠ ـ عدم بذل الجهد في التوبة

قد تكون هذه الآفة سبباً في الخروج من الإسلام حيث نجد كثيراً من أبناء المسلمين ممن ابتلوا بالذنوب والمعاصي لا يبادرون بالإقلاع عنها واجتذاذها من أصولها بل يستمرؤنها ويتلذذون بها وعندما تنصح أحدهم وتقول له يافلان اتق الله وأقلع عن ذنبك. تجد الأجوبة منهم متفاوتة فمنهم من يقول: مازلت صغيراً، ومنهم من يقول: ادع لي.. وهذه لا شك كلمة طيبة. ولكن ماذا فعلت وماهي الخطوات التي اتبعتها ليستجيب الله لي ولك؟ هل أريت الله مايرضيه عنك؟ هل بذلت الجهد للاقلاع عما أنت فيه؟

أم أنك تطلق هذه العبارة لاسكات الداعية دونما فعل أسباب التوبة؟

إن التوبة ليست مجرد أمنية بل تحتاج إلى جهد وعمل وهناك من الشباب من إذا نصحته قال إن الله غفور رحيم وينسى أو يتناسى أنه شديد العقاب وأليم العذاب فنظر بعين وأغمض الأخرى فهل هذا من الانصاف؟

وبعضهم يحتج بأنه قد أحسن الظن بالله فيقوم بعمل المعاصي والذنوب التي يزينها له الشيطان بهذه الحيلة وأذكر شاباً في هذه

المناسبة لم يعرف معصية إلا اقترفها ولا آفة إلا اكتساها، طرق جميع أبواب الحرام وكلما ذكرته بالله قال لي: أنت حزين علي ومستاء من وضعي؟ فأقول له: نعم وأتمنى لو تباع الهداية لاشتريها لك بأغلى الأثمان فقال لي: اطمئن إنني دعوت الله أن لا يميتني إلا وهو راض عني وأبشرك أنني محسن الظن بالله ومتفائل بأن الله لن يميتني إلا وقد هداني. فقلت له: لا أظن أحداً أرضى الشيطان كما أرضيته، إنك في هذه الحالة وعلى ضوء تصوراتي لا أعتقد أنك ستلتزم إذا كان هذا مبدأك إن احسان الظن بالله واجب وخصوصاً عند النزع ولكن اقتراف الذنوب والمعاصي مع احسان الظن بالله لا يجتمعان ثم قلت له: إن الشيطان سيفتح لك باباً عظيماً في الوسوسة حيث كلما فكرت بالالتزام وسوس لك الشيطان وقال إنك قد أحسنت الظن بربك ولن يقبض روحك إلا وهو راض عنك وما أظن التزامك هذا إلا إيذاناً بدنو أجلك واقتراب رحيلك ومن ثم وبما جبل عليه الإنسان من حب الدنيا وكراهية الموت سوف تفزع من هذا وتؤجل التوبة لأنك ربطتها بالموت وهكذا سوف تستمر إن لم يتداركك الله برحمته حتى تفاجأ وأنت أسير لحدك ولكنه استمر على وضعه أسأل الله لنا وله الهداية.

ومن المؤلم أن بعض أهل المعاصي من المسلمين عندما تذكره بالله يقول لك إنني سعيد بوضعي فلا تكدر علي صفو حياتي وتنغصها علي بمواعظك وتذكيرك.

وهناك إحدى الفنانات حازت على النجومية بمجالها العفن واتصلت بها إحدى الداعيات في يوم تكريمها كبطلة! وأي بطولة تلك التي نالتها!؟ ذكرتها الداعية باليوم الموعود والصراط المنصوب فقالت لها: أرجوك كفي عن هذا ولا تخوفيني ولا تحرميني من فرحتي بفوزي ووضعت السماعة.

إن على المسلم أن يلغي عبارة «وضعي أحسن» من قاموسه وعليه المبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله قبل أن يندم يوم لا ينفع الندم ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1] وأنصحك يا أخي القاريء باستماع شريط «من يحول بينك وبين التوبة» للشيخ عمر العيد وقراءة كتاب: «أريد أن أتوب ولكن» للشيخ محمد النجد.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١١

٣١ ـ عدم اختيار مايلائم

قد يكتسي هذا التعريف بعض الغموض وخاصة عند قليلي الخبرة في التربية، ولكي أوضح الصورة للقاريء الكريم أقول: قد يتأثر أحد الشباب بأسلوب داعية من الدعاة ويطلب من هذا الداعية أن يصحبه معه لينهل من علمه ويسترشد بإرشاده وقد يكون الدافع لهذا الحماس، ثم يجد هذا الشاب نفسه بعد فترة يعيش حالة ملل من جراء عدم التأقلم مع هذا الوضع ثم تكون النتيجة انتكاسة ولو كان ذكياً لالتحق مع مجموعة توافقه بالأفكار فيتدرج معها في التعلم والمعرفة حيث لن يجد صعوبة في التكيف معهم فمثلاً شاب في المرحلة المتوسطة ينضم إلى مجموعة من الجامعيين فتكون الدروس والبرامج فوق مستواه مما يسبب له مفارقة هؤلاء الأصحاب والعكس صحيح مثل شاب في المرحلة الجامعية يلتحق مع مجموعة من الشباب في المرحلة المتوسطة تكون برامجهم غير ملائمة له مما يسبب له الملل ومن ثم يترك تلك المجموعة إيذاناً بانتقاله لمرحلة أخرى، كذلك هناك من الشباب من يقرأ كتباً أعلى منه مستوى فيصاب من جراء ذلك بملل أو عدم قدرة على استيعابها وفهم محتوياتها فتسبب عنده بعض الشبه والشكوك تكون نهايتها تركه لهذا الطريق.

وقد يقرأ الشاب كتباً علمية مليئة بالعجائب والغرائب مما قد لا يتصورها العقل البشري الناقص وخاصة من لم يزكى بالعلم فتكون نتيجتها شراً عليه ووبالاً وأذكر في هذه المناسبة قصة حدثني بها أخ سوداني حيث قال لي: أن له خالاً مولعاً بالقراءة والاطلاع ولكن مشكلته أنه يقرأ كتباً تفوقه بمراحل وإذا نصح لا يستنصح وإذا قيل له استشر لا يستجيب فاستمر على وضعه فقرأ أحد الكتب لعلم من الأعلام وما أنهى المجلد الأول إلا وقد أعلن الردة والخروج عن الملة حيث أن هذا الكتاب الذي يقرأ فيه مليء في جزئه الأول بالعجائب والغرائب التي حار عقله فيها لضعف علمه.

فعلى الشاب أن يستشير دائماً من يصاحب؟ وماذا يقرأ؟ وفي كل شيء يحاول الاستشارة ليسلم من الانتكاس إن شاء الله.

٣٢ ـ سوء الظن

إن من الأمور التي تحدث الانتكاسات عند الشباب سوء الظن وهذا أمر يلاحظه من يمارس العملية تطبيقياً.

حيث إن الشباب في المراحل الثانوية والمتوسطة وبداية الجامعة يمتلكون مشاعر مرهفة وحساسية مفرطة ويؤولون الأمور على غير مقاصد أصحابها وتكون نتيجة هذه التأويلات خطيرة وخطيرة جداً.

أذكر شاباً كان من خيرة الشباب وكان المشرف عليه يحبه ويقربه ويؤلف على قلبه وبعد أن حسن التزامه وكان قادراً على المحافظة على دينه وشعر بأهمية التزامه عندئذ تفرغ الأستاذ لمتابعة غيره وخفف من التركيز عليه، وبدأ هذا الشاب يشعر بجفاء الأستاذ نحوه وأساء به الظن ولكنه كان ذكياً حيث ذهب للأستاذ وناقشه بصراحة عن الأسباب، فأخبره الأستاذ بالأسباب، قال له: والله لقد أسأت بك الظن ودارت بي الدوائر وحامت حولك الشكوك أما إن كان هذا هدفك وتلك نيتك فلا اغضب بعدها أبداً.

السؤال الذي يطرح نفسه: لو لم يكن هذا الشاب عاقلاً وعرف كيف يحل المشكلة ألم تكن النتيجة سيئة؟ أعرف شاباً حدث له نفس

الموقف وترك الشباب وأخطأ بحق الأستاذ ورفض المناقشة وبعد التي واللتيا أفشى هذا الشاب سره وسبب انتكاسه أنه أساء الظن بالأخيار وأنهم أصحاب مصالح، ومن هذه القصص شاب ارتبط مع أخوانه الطيبين وكانت معه سيارة تحملهم وكان لا يبخل بها عليهم وفي يوم من الأيام تعطلت سيارته فنسي الأستاذ المرور عليه فغضب وترك الشباب وعند مناقشته قال: هم لا يريدونني إلا من أجل سيارتي وأساء بهم الظن وحاولوا اقناعه ولم يستطيعوا إلا بعد أن أقسم الأستاذ ألا يركب سيارة هذا الشاب أحد من الطلبة وبعد أن عاد بفترة عرف أن حبهم له ليس لسيارته وإنما لوجه الله تعالى.

وآخر كان في رحلة مع زملائه وشك في أحد زملائه وكاد أن يترك الإلتزام بناء على هذا الشك.

إن الحكم على الآخرين بناء على الشكوك والظنون ثم اتخاذ القرارات بناء على هذه التصورات تؤدي بالأخير إلى نهاية مأساوية للإلتزام، إن الوسوسة وسوء الظن مبعثها غالباً الشيطان ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[1] ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2]

إن على المسلم أن يلتمس العذر لأخيه وكما ورد عن بعض

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢

السلف التمس لأخيك سبعين عذراً فإن لم تجد فقل لعل له عذراً لا أعرفه، هذا هو واجب المسلم نحو أخيه ونحو نفسه، ثم إني أهمس همسة وأقول لماذا يكون الالتزام دائماً هو الضحية؟ هل نحن نلتزم لله أم للناس؟ إن الإنسان يتعجب من شاب يجلس مع الصالحين سنين ثم بمجرد انقطاعه عنهم أو حدوث أي أمر له من سوء ظن وغيره من الأسباب السابقة يكون الضحية هو الإلتزام. فأين مراقبة الله تعالى، وأين العمل للدار الآخرة وأين من يبيعون الدنيا ويشترون الآخرة؟.

٣٣ - عدم التطبيق العملي للدراسات النظرية

لا تستغرب ياأيها القاريء الكريم هذا العنوان ولا تصبك الدهشة من هذا السبب، ولعلك أن تطرح سؤالاً: ما العلاقة بين هذا السبب وبين الانتكاس؟ فأقول لك: إن المطلع على بواطن الأمور والعالم بخفاياها يعلم علماً جازماً أن لهذا السب دوراً أساسياً في انتكاسات كثيرة.

إن العلم إذا لم يتحول إلى واقع عملي فإنه على صاحبه شر ووبال وحجة سوف يحاسب عليها يوم يبعث الأنام ، ولذا استعاذ الرسول ﷺ من هذا العلم وقال: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**»[١] وهناك من يبذل الجهد في تعليم غيره وينسى تعليم نفسه أو تطبيق ما تعلمه ويلزم غيره بهذا التطبيق.

يـــاأيهـــا الـــرجـــل المعلـــم غيره
هـــلا لنفســـك كـــان ذا التعليـــم
تصـــف الـــدواء لـــذي السقـــام وذي الضنـــى
كيمـــا يصـــح بـــه وأنـــت سقيـــم

---

(١) وتكملته «وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع» أخرجه الألباني في صحيح الجامع ٨٢٩٥ وعزاه للإمام أحمد وابن حبان والحاكم وقال حديث صحيح.

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويقتدى
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

إن الإنسان إذا لم يعمل بما يقول فإنه أدعى لرفض علمه وعدم القبول وهناك فئة تظل طوال عمرها تطلب العلم ولا تفكر في تطبيقه أو أن تعلمه غيرها.. والمصيبة العظمى أنهم أيضاً يقدحون في كل من تصدر لتعليم الناس فلا هم علموهم ولا هم رضوا أن يعلم غيرهم العلم ولهؤلاء نقول:

أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم
من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

إن هذه الشرذمة سببت شرخاً في الصف الإسلامي فملوا من الناس وكذا مل منهم الناس، حتى أصابهم من جراء تلك الأفعال الانتكاس وهذه نتيجة طبيعية لمن هذا مسلكه.

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل
لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل

وقال آخر:

وكن عاملاً بالعلم فيما استطعته
ليهديك المرد الذي بك يقتدي

إن الأمة بحاجة إلى علماء عاملين لا مجعجعين مثبطين، إن الربط بين العلم والعمل تقوية للإيمان وحرز بإذن الله من الشيطان.

إن طالب العلم إذا لم يستفد من علمه فسيصاب بالفتور غالباً ولا شك أن الفتور مرحلة خطيرة تؤدي إلى الانتكاس في النهاية غالباً.

ولا أريد الإسترسال في هذا الموضوع ولكني أنصح بقراءة ما خطته يد الخطيب البغدادي بعنوان «إقتضاء العلم العمل» بتحقيق الإمام المحدث ناصر الدين الألباني، وكذا غيرها للإمام ابن جماعة والشيخ بكر أبوزيد في حليته النفيسة الرائعة البديعة.

٣٤ ـ الاكتفاء بما سبق

قد يكون الشاب في بداية التزامه وتوهج شبابه شعلة من النشاط في الدعوة يؤثر على الأهل والأصدقاء والجيران يدعو هذا وذاك ويهدي لهذا شريطاً ولذاك كتاباً، سيارته مليئة بالأشرطة والكتيبات يوزع في كل مكان رجاء ماعند الله، يساهم في البرامج والأنشطة فلا تجد مشروعاً خيرياً إلا وله فيه يد حتى أصبح علماً في مجتمعه في حيه في مدرسته عند أهله وزملائه ولكن عندما يتخرج في الجامعة ويبدأ المراحل العملية لدراسته تجده قد انطفأ وترك العمل!! وعند سؤاله عن سبب ذلك يقول: نترك هذه الأعمال للشباب ونتيح لهم الفرصة! وبعضهم قد يقول كلاماً أخطر فيقول عندنا من الحسنات مايكفي سبحان الله ماهذه الجرأة؟! هل ضمنت القبول؟ هل ضمنت عدم النكوص؟ أما تخشى أن يؤثر موقفك هذا على إلتزامك هل ضمنت قبول الله لما قدمته في ماضي أيامك؟ رب سيئة أدخلت صاحبها الجنة، ورب حسنة أدخلت صاحبها النار فشخص يعمل حسنة يغتر بها ويبدأ يمن بها على الله حتى يختم الله على قلبه ويدخله النار، وآخر يعمل سيئة فيخاف من غضب الله ويبدأ بعمل الطاعات لتكفيرها ويرى أنها كبيرة لا يكفرها أي عمل حتى يرحمه الله فيدخله الجنة.

أعرف شباباً كانوا رموزاً في الدعوة والإلتزام إلتزم على أيديهم كثير من الشباب واستطاعوا بفضل الله أن يحولوا بيوتاً بأسرها ومجتمعات بكاملها إلى التدين والإلتزام ، ثم ماذا بعد؟ أصبح التلاميذ أنشط على الدعوة وأحرص أما أولئك فقد اكتفوا بما زرعوه في الماضي، حتى أصبحت جلساتهم جلسات أنس وسمر فضعف التزامهم بل بدأ يتلاشى، وأصبحت اجازاتهم بدلاً من أن تكون فرصة للدعوة إلى الله أصبحت للترفيه والتنزه نسأل الله العافية والسلامة وآخرون أسلم على يديهم خلق كثير بفضل الله ثم تركوا الدعوة وقالوا إن هؤلاء كلما عملوا عملاً كان لنا مثل أجورهم لأن إسلامهم أو إلتزامهم كان على أيدينا سبحان الله ألهذا الحد وصل التفكير عندك؟ ألهذا الحد عبث الشيطان بعقلك؟!.

إن من المؤسف أن يتحول دعاة مؤثرون إلى أصحاب رحلات وأنس وترفيه عن النفس بين يوم وليلة اكتفاء بما قدموه في الماضي إن الداعية الحقيقي لا يكل ولا يمل ويجتهد بكل ماأوتي من قوة، وكلما تقدم به العمر زادت خبرته فوظفها لصالح الدعوة إلى الله، وإذا مل من مجال انتقل إلى مجال آخر، ولنا أسوة حسنة في سلفنا الصالح الذين دعوا إلى الله من بداية وعيهم إلى أن أصبحوا على سرير الموت ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[١].

---

(١) سورة الحجر: آية ٩٩.

٣٥ ـ عدم التكيف مع الوضع

لا تكاد نسبة الملتزمين في بعض المناطق تذكر حيث إنهم قلة قليلة وفئة نادرة وهم على مآدب شتى واتجاهات متنوعة وأفكار مختلفة.

إن هذه الفئات كما سبق مع قلتها مختلفة الاتجاهات قد يجد بعض المسلمين صعوبة بالتأقلم معهم والانضمام إلى صفوفهم فتجده يعاني الأمرين إما وحدة لا يطيقها والاضطرار للانخراط فيها لأنه في مجتمع لا يضمن المسلم دينه فيه، أو يجبر على العيش معهم مع الاختلاف في وجهات النظر والطباع ولا شك أن الأفضل هو النظر للمصلحة العامة فإن كان الاختلاف معهم في العقائد والأصول فلا شك أن العزلة خير وإن كان الاختلاف في الطباع والأفكار فلا شك أن الاجتماع خير.

إن من الصعوبة أحياناً على الشخص أن يجد المجتمع الذي يلائمه تماماً ويستطيع العيش فيه دون مصاعب فعليه تحمل هذه المصاعب من أجل المحافظة على دينه، ولا يترك ذلك المجتمع لعدم تكيفه معه فيعيش وحيداً فتأتيه الوساوس والشكوك من كل مكان حتى تؤدي به إلى الانتكاس.

إن على المؤمن أن يتكيف مع أوضاعه وإن يجالس الصالحين ويصبر على مايجده من أذى ومشقة بفهمهم وليس شرط أن يكون المقدم في الأمر أن تتحقق جميع أمانيه لذا إن الله جل وعلا رسوله ﷺ إلى مجالسة أهل الخير والصلاح يقول: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1].

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك
لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك
فإنه مقارف إثم مرة ومجانبه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

٣٦ ـ حب الرئاسة والصدارة

من أعظم الأمراض التي يبتلى بها المرء حب الرئاسة والصدارة فهو داء عضال ومن أخطر الأمراض التي يصاب بها الشباب خصوصاً، وهي مرحلة من مراحل إغواء الشيطان للبشر فتؤدي به إلى نهاية خطيرة، وانظر إلى التاريخ كم سجل لنا أسماء رجال بذلوا المال والجاه ليصلوا إلى مناصب عظمى وسحلوا من جراء ذلك الرجال والنساء فصعدوا للقمم على الجماجم والجثث، لذلك بين رسول الله ﷺ خطورة الرئاسة وقال لأحد أصحابه: «**إنها لأمانة وإنها يوم القيامة لخزي وندامة**» ولكن كثيراً من المنتسبين للإسلام عزفوا عن هذه النصوص ولم يعبأوا بها لا لشيء إلا لأنها خالفت شهواتهم.

وقبل أن أدخل في صلب الموضوع أنبه إلى قضية هامة وهي أن حب الرئاسة يمنع صاحبه من الإيمان ابتداء ويخرجه منه انتهاء فهاهو عبدالله بن أبي بن سلول رجل مقدم في قومه زرع له مكانة وبرز بينهم بجاهه ولم تجتمع الأوس والخزرج على تولية زعيم كاجتماعهم عليه فصنعوا له تاج الملك وهيأوا له مكان العرش وقدموا له السمع والطاعة ولما ازدانت المدينة بنور الإسلام وضياء القرآن ومقدم خير الأنام ﷺ التف الناس حوله ﷺ وآمنوا به

وكانت هذه كالصاعقة على عبدالله بن أبي فأبطن النفاق وأضمر العداء لأهل الإسلام وأسس مذهبه الخبيث وأثبت معدنه الخسيس، إنك عندما تتأمل في سيرته تعرف أن الذي حال بين هذا العاقل اللبيب وبين الإسلام هو حب الرئاسة والتصدر فجعلته من أكبر أعداء الإسلام.. وأنقلكم إلى صورة أخرى لا تقل عنها غرابة وموافقتها في النهاية إنه خبر هرقل امبراطور الروم وعظيمها الذي عرف الإسلام وتبين له صدق الرسول ﷺ فكان من خبره أن جمع قومه وعرض عليهم الإسلام ولكنه لما رأى إعراضهم وأن مخالفته إياهم ستبعده عن عرشه وملكه تراجع عن موقفه واحتال حيلة لئلا يفتضح أمره لكي يحافظ على رئاسته وصدارته في قومه!![1].

فانظر يارعاك الله إلى هؤلاء البائسين كيف حرموا من هذا الدين من أجل رئاسة فانية ، مع ذلك كله فإننا لا نستغرب من هؤلاء هذا الإعراض لأنهم وبكل بساطة لم يشربوا الإيمان في قلوبهم، فلذا لا يتعجب من تصرفاتهم ولكن العجب يكون عندما يظهر هذا التصرف من شباب الإسلام الذين تربوا عليه وعلموا ثقل المسؤولية وخطورة الدعوة وحملوا همها ومع ذلك اصطادهم الشيطان بحباله الشائكة وأوقعهم في مزالقه الخطيرة ووقعوا كما يقولون في المصيدة، وأشربوا في قلوبهم حب الرئاسة وأصبحت مخالطة لدمائهم لذا انحصرت دعوتهم في تحصيل هذه المحمدة التي

---

(١) خبر أبو سفيان مع هرقل في البخاري في البخاري عن ابن عباس، كتاب بدء الوحي.

لا يرجى نفعها.

إن على الشاب أن يحمل شعار ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[1] وليترك شعار أدعو إلى نفسي على بصيرة، بل على غير بصيرة.

وليقرأ في سير السلف الصالح كيف كانوا يفرون من الإمرة والولاية بل إن من أسوأ الأخبار عندهم إن يخبر أحدهم بتوليته على أمر ما.

وقد يتساءل شاب هل هذا الداء خاص بالشباب؟ فأقول له: إن هذا الداء يصيب الكبار أيضاً وهو بهم أشد وأنكى وأمضى طعناً وما أحداث الأفغان ونزاع شيوخها عنا ببعيد.

وعندما ندقق في الأمر ونطرح أسئلة نقول ماهو الدافع لهذا الحب؟ والجواب إن له دوافع عدة:

أولاً: حب الشهرة:

رحم الله عبد الله بن المبارك فقد كان في يوم من الأيام يسقي ومعه بعض علماء عصره وكأن الناس يتدافعون للوصول إلى الماء ولم يفسحوا الطريق لعبدالله وعاملوه كغيره من الناس فدخل السرور ثم التفت إلى أصحابه وقال: هكذا الحياة حيث لا نعرف.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

إنني عندما أضع هذا الحدث في كفة وأضع رغبات الشباب في أخرى وكيف يبذل البعض منهم مافي طاقته ووسعه ليبرز نفسه ولتصافح أذنه لقب ياشيخ!! ثم أحاط نفسه ببطانة لا يسير إلا وهم حوله ولا يجلى إلا وهم بين يديه فامتلأ قلبه بحب الرئاسة وتاقت نفسه للشهرة إنك عندما تسأله: مافائدة الشهرة بالنسبة لك هل تريدها لوجه الله؟ أم تريدها لتكون مقدماً في قومك؟ إن سرت عرفك الناس تريد أن يكون لك شفعاء في كل مكان، إن كان هذا هدفك فلقد والله وقعت في المحظور وأوقعت نفسك في بؤس يبور، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ: «**إن الله حرم الجنة على من تعلم العلم ليصيب به عرضاً من الدنيا**»[١] أو ماسمعت الرسول ﷺ يقول لعدي بن حاتم عندما ذكر محامد والده ومفاخره: «**إن أباك أراد شيئاً فأدركه**» فإحذر أن تكون هذه حالك يا عبدالله وأحذر أن يقال لك يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٢] وقد يطرح شاب سؤالاً آخر وما علاقة هذا بالانتكاس فلقد أغربت وأطنبت؟ فأقول له: بل أنت الذي شطحت ومافهمت ماقصدت. إن الشاب عندما يدخل في هذا المضمار وقد جعل هذه الأهداف نصب عينيه ولم يحصل عليها فعندئذ سوف يبحث عن مكان آخر ليحقق مراده ويحظى بمطلبه

(١) مسلم، باب الإمارة ١٦.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٠.

ولو كان المجال مجال فسق وفجور، وأذكر بهذا الصدد قصة مأساوية لشاب كان يفني نفسه ويبذل جهده لخدمة دينه فما سمع عن خير في مكان إلا ذهب له حتى أصبح لا يأتي لبيته إلا نادراً ولكن المشكلة التي عانى منها أنه يعمل تحت رئاسة غيره، وكان كل انجاز ينسب لرئيسه فضاق بهذا ذرعاً وقال لي ذات يوم وأشهد الله على ماقاله: إننا نعمل وينسب الفضل إلى فلان، ثم مضت به الأيام فإذا به يترك عمله ويلتحق بآخر غيره، فابتعد عن الدعوة وأصبحت بالنسبة له ذكرى قد لا تكون جميلة.

يا سبحان الله هل هذا الشاب كان يعمل لنفسه أم لله؟ إن كان يعمل لنفسه فلا أشك لحظة أن حرمانه من مراده عقوبة، وإن كان يعمل لله أفليس الله يعلم عن عمله ويرى فعله وصنيعه؟

أخي الشاب إن حب الرئاسة داء عضال ومن رغب بثناء الناس وحمدهم فعليه أن يعلم أنهم لا يملكون من قطمير ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فأخلص لله واجتهد فيما يرضيه ولا تفسد عملك ولا تجعل حب الرئاسة والشهرة هدفك فوالله إنها هم وغم ونكد وكرب سبحان الله!! أتظهر يامسكين يا بائس ياضعيف أنك تعمل لله وأنت في حقيقة أمرك وقرارة نفسك تعمل لتكون علماً بارزاً يشار إليك بالبنان، أفتجعل الدعوة إلى الله هدفاً لنيل مآربك من الدنيا؟ إنني لا أشك أن من جعل هذا هدفه فإن مآله الفشل لا محالة إلا من رحم ربك.

وأختم بهذا الخبر عن رجل كان رمزاً للشباب لا يرى إلا وهو مبتسم عمل بحقل الدعوة سنين عدة ولكن الشيطان أدركه فصاده فأصبحت الشهرة والرئاسة مقصده ومطلبه وبدأ يضعف في دعوته رويداً رويداً حتى ضاق ذرعاً بوضعه فترك الدعوة لينال هذه المنقبة لعله يجدها في مكان آخر؟.

ثانياً : حب المال:

المال كما يقولون عصب الحياة ونعم المال الصالح بيد الرجل الصالح ولا يشك عاقل بأهميته ولكن أن تكون الدعوة هي الضحية وتطمع بالرئاسة لتنال المال على حساب آخرتك فهذا والله مالايقبل إن هناك من هو على استعداد أن يضحي بالدين وأهله ليحقق من جراء ذلك مالاً ولن ينسى الدعاة مافعله بعض البائسين الهالكين عندما تقمصوا شخصيات الدعاة وانخرطوا معهم وحملوا فيما يظهرهم الدعوة وكانوا مبطنين حب المال والرئاسة فلما ظفروا بالمراد انقلبوا على أعقابهم خاسرين ومكروا بزملائهم المصلحين وأظهروا عداوتهم لهذا الدين ولكن:

ستعلــــم إذا انكشــــف الغبــــار
أفــــرس تحتــــك أم حمــــار

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[(١)].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

٣٧ ـ عدم توافر القدوة وعدم الرجوع إلى العلماء

حيث تجد بعض المربين من قليلي العلم يقوم على تربية مجموعة من الشباب ويسير معهم مساراً طيباً وعندما تواجه هؤلاء الشباب بعض المشاكل يقومون بعرضها عليه ويستفتونه في أمورهم فيستحي أن يقول لهم لا أعلم؟! فيجيب على بعض أسئلتهم واستفساراتهم إجابات خاطئة لا تستند إلى دليل شرعي فإذا تقدم بهم العمر علموا خطأه وعدم نصحه لهم مما يتسبب في ردة فعل عندهم قد تؤدي إلى انتكاسهم بل قد تؤدي إلى انتكاس المربي نفسه حيث لم يعد قادراً على مواجهتهم ويفضل أن يختفي عنهم وربما اختفى عن الصالحين ككل لأنه يرى أنه لم يعد مقبولاً عندهم، ولم يعودوا يثقون به.

ولو كان هذا المربي لبيباً وعلم أنه إنما يربي هؤلاء الشباب ليكونوا رجالاً صالحين في المجتمع لا ليكونوا أتباعاً له لو علم هذا لنصح لهم ولحرص على توجيههم للعلماء وطلبة العلم ليستفيدوا منهم، أما مخالفة هذا المقصود والعمل بخلافه فإن النتيجة بلا شك كما قال تعالى: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ

ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[1].

إن على المربي ربط الشباب بالعلم والعلماء وأن يكون هو متسلحا بالعلم قادرا على الاعتراف بضعفه العلمي متى مارأى ذلك لا يتحرج من أن يقول لا أدري حتى لا يكون سببا في انتكاس بعض الملتزمين أو في انتكاسه هو كما سبق وليعلم أن الدعاة يتبادلون الأدوار فهذا يوجه وهذا يعظ وهذا يعلم وهذا يربي وكل يتصف بصفة تخالف صفة غيره.

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

٣٨ ـ الحسد

يعتبر هذا السبب من أكثر الآفات التي تخرج من الملة وتحدث شرخاً في صفوف الأمة، إن الحسد آفة خطيرة امتلأت بها القلوب المريضة وأهم الأسباب التي تؤدي إلى الحسد:

أ ـ ضعف الإيمان

ب ـ عدم التسليم بالقضاء والقدر، وهذا واضح لأن الحاسد لا يحسد إلا لظنه أن غيره قد أعطي أكثر من حقه ولو سأل هذا البائس نفسه سؤالاً لماذا حسد؟

أليس الله هو الرازق العليم، هل تعتقد أنك إذا حسدت سوف تمنع غيرك من أرزاق قدرها الله لهم، إنك لن تقدم شيئاً في رزق الله ولن تؤخره كيف وقد قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، وبالمناسبة قد أورد النسفي قصة نقلها عنه السعدي في تفسيره قال: وعن الأصمعي أنه قال: اقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود «الذكر الشاب من الإبل» فقال: من الرجل؟ قلت: من بني أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الله. قال: اتل علي، فتلوت «والذاريات»

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

فلما بلغت قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾[1] قال: حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى مدبراً، فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بملء صوته، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي وقد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[2] فصاح وقال: ياسبحان الله، من أغضب الجليل حتى حلف؟ لم يصدقوه بقوله حتى حلف؟ قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه. ا.هـ.

فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا الأعرابي كيف آمن بهذا المبدأ وكيف رسخ الإيمان في قلبه وكيف ازداد توكله على ربه فهل علم الحاسد أن حسده لا يؤخر في الأرزاق ولا يقدم في الآجال ألم يؤمن بقسم الله عز وجل بذلك: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[3].

ج/ عدم التسلح بالعلم فلو كان الحاسد متسلحاً بالعلم الشرعي لما سلك هذا الطريق الوعر ولما وقع في هذا المنزلق الخطر لأنه وبكل بساطة سوف يتحصن بالآيات والأحاديث وسوف تكون بإذن الله حرزاً له ووقاية من الوقوع في هذه الآفة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

د/ البيئة التي يعيش فيها حيث اشتهر عن بعض الأسر والعوائل والبلدان انتشار هذه الآفة بينهم، وقد يسأل سائل ويقول وماعلاقة الحسد بالإنتكاس؟ والجواب على سؤاله ظاهر وبارز: حيث نجد أن كثيراً ممن حسدوا غيرهم ووقعوا في هذه الآفة قد انتكسوا لأنهم لا يريدون لغيرهم بروزاً ولا تميزاً، بل وتجد بعضهم يتطور به الوضع إلى حياكة المؤامرات ولا يخفى على أحد ماحاكه علماء السوء في زمن شيخ الإسلام عليه بل مافعله إخوة يوسف به ومافعله ابن أدم بأخيه وقد يقول قائل: إن هؤلاء لم ينتكسوا فأقول: نعم لأن بعضهم قد تدارك وضعه وندم على تصرفه، كإخوة يوسف ولكن الوضع بالنسبة لابن آدم ومناوئي شيخ الإسلام مختلف.

أخي العزيز.. إن الغيرة والحسد أخرجت جموعاً من الإسلام ومنعت آخرين منه! ما الذي جعل أبا جهل يرفض الإسلام أليس حسده لرسول الله ﷺ؟ ماالذي منع عقلاء يهود أهل العلم والكتاب من الإسلام؟ أليس حسدهم لهذا النبي الأمي ولو استطردت في ذكر الأمثلة لخرجت من صلب الموضوع ولكنني سأذكر نماذج لمن أخرجهم هذا الداء من دائرة الإلتزام حيث كان شاب مقدم بارز لا يألوا جهداً في خدمة دينه ولا يضيع وقتاً في نشر مبادئه ولكنه حسد من هم أعلى منه واستغرب أن ينسب الفضل لهم ويتجاهلوه حتى أنه قال لي: لقد ضقت ذرعاً بالوضع

فأنا الذي أعمل وغيري الذي يعرف فقلت له: ياهذا اتق الله أتحسد غيرك على أن الناس قد عرفوه؟ لماذا لا تفتش في اخلاصك وتراجع أساس عملك؟ لماذا لا تقول إن معرفة الناس طيبات عجلت له أو عقوبة عجلت لك أما تعلم أن هذا اعتراض على قضاء الله وقدره أما تعلم أن الله حذر من الحسد؟ وتلوت عليه قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[2] أو ما تعلم إن فعلك هذا حسد قد أمر الله تعالى بالإستعاذة منه ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾[3]، أما تعلم أنه شر ووبال، إن الحاسد يريد أن يتصرف بالأرزاق وماعلم أنها ليست بيده ولا بيد البشرية جمعاء: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ ﴾[4] ولكنه استجاب وما أناب ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾[5] والمصيبة الكبرى أن ضحية الحسد في بعض الحالات الحاسد والمسحود وأذكر في ذلك أسباباً:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٣) سورة الفلق، الآية: ٥.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

حيث إن بعض الدعاة إذا كثر شانئوه ومعادوه ضاق ذرعاً بالوضع وترك الدعوة ارضاء لهم لعدم تحمله مايصيبه منهم وأقول إن لهذا التراجع أسباباً منها:

أ ـ ضعف إيمانه.

ب ـ عدم الصبر والاحتساب من جراء مايصيبه.

جـ ـ عدم الاقتداء بالأسلاف.

د ـ عدم معرفة أنما يقال حوله حسد.

هـ ـ عدم معرفة أهمية المرحلة التي يعيشها وأن قبول الناس له سوف يكون له ثمن وتضحية لابد من بذلها وإن كل ذي نعمة محسود إن على الداعية أن يثبت على طريقه وأن يتحمل كل ما أصابه في سبيل دعوته وأن يستعيذ بالله من شر أهل الحقد والحسد وأن يكون شعاره ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾[1].

إن على الشباب تقوى الله والبعد عن الحسد حتى لا يقع في حبال الشيطان وليعلم إن الشيطان يزين لهم طريق الحسد ويلبس عليهم فيه ويسميه بغير اسمه حتى إن أحدهم قد يلقي درساً في التحذير من الحسد وهو واقع فيه دونما شعور لأنه وبكل بساطة يبريء نفسه من هذه الآفة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

٣٩ - عدم المتابعة

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على تفقد أصحابه فها هو بعد صلاة الفجر يسأل أصحابه عن أعمالهم في هذا اليوم فيسأل عن المتصدق وعن من عاد المرضى ومن تبع الجنائز ليعرف مدى تمسك أصحابه بهذه الخصال الطيبة وليثنى على من أداها ويندب البقية على أدائها بل هاهو كما عند الدارمي وأبي داؤد يسأل عن أصحابه في صلاة الفجر فيقول أين فلان وأين فلان بل ويسأل عن امرأة تقم المسجد عندما افتقدها وكل ذلك حرصاً منه ﷺ على أن لا يصيب أصحابه مايمنعهم من أداء الأعمال ويعالج ماعندهم من نقص وقصور فيسأل عن عبدالله ابن عمر ثم يثني عليه ويقول: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل**» فحرص الرسول ﷺ على متابعة أصحابه جعله ينبه عبدالله لما حصل عنده من قصور بل ويستمر على متابعته لعبدالله ليعلم مدى حرصه على معالجة هذا النقص فلما علم بمعالجة هذا الصحابي لما أجتابه من نقص بهذا النفل أوصاه ﷺ بألا يدع قيام الليل فحفزه لذلك وقال له: ياعبدالله لا تكن كفلان كان يقوم الليل فتركه ولو استرسلت بذكر الأمثلة لخرجت عن صلب الموضوع ولكنني أقف هاهنا وأقول إن المسلم عليه أن يتابع من استرعاه الله وكما جاء في الحديث «كلكم راع وكلكم

مسؤول عن رعيته» فالأب مطالب بمتابعة أبنائه فعليه عندما يلاحظ عليهم أي نقص أن يبادر بإجتذاذه من أصوله قبل استفحاله وكذلك يجب مثل ذلك على الصاحب نحو صاحبه والوالدة تجاه ولدها والأخ اتجاه أخيه والجار نحو جاره والقريب نحو قريبه ولكن تظل المسؤولية الكبرى على الأستاذ والشيخ المربي لأنه يعتبر وعاء أسرار التلميذ فيكشف له ما لا يكشفه لغيره ويتقبل غضبه ومتابعته فعندما يلحظ الشيخ على تلميذه أي صورة من صور الفتور والتي سأورد بعضها ألا يقف مكتوف الأيدي وألا يؤجل الموضوع لأن التأخر في معالجة هذه الظواهر عواقبه بلا شك وخيمة وكلما تأخر الشيخ يوماً بالمعالجة صعب عليه العلاج ومن الظواهر مايلي: .

أ ـ التغيب عن الدروس أو التأخر عن الحضور .

ب ـ الإهمال في الحفظ أو عدم الحرص على متابعة الدروس.

ج ـ تخفيف كمية المحفوظ من القرآن يومياً.

د ـ أخذ شيء من اللحية أو إطالة الثياب.

هـ ـ تغير بعض صفات الطالب كأن يكثر المزح أو يميل للعزلة أو يكثر من الغضب أو الإساءة إلى الآخرين وهذه الظواهر قد يتخذها الشباب لتكن ذريعة لتركهم للجماعة أو لفت الأنظار فعلى المربي المبادرة بعلاج هذه الظواهر ومناقشة أصحابها وعلاج مشاكلهم حتى لا تكون بداية النهاية وأذكر موقف مر بي شخصياً حيث لاحظت على أحد الشباب تغير في تعامله وتأخرت في معالجته

حتى استفحل وزاد ثم فوجئت بانقطاعه فبدأت التمس له الأعذار دون التأكد من وضعه حتى طال غيابه فذهبت لزيارته فوجدته شخصية أخرى فحاولت معالجته ولكن سبق السيف العذل ولا أريد أن أطيل ولكنها مجرد همسات في أذن كل من استرعاه الله رعية كما لا أنسى أن أوجه أئمة المساجد أن يحرصوا على متابعة مأموميهم فعند ملاحظة تغير من حيث التأخر بالحضور أو الاستعجال بالانصراف بعد الصلاة أو إهمال السنن الرواتب بصورة لم تكن معروفة عنهم لكي لا يتأزم الوضع وأذكر أن شاباً كان يسابق المؤذن بالحضور ثم بدأ يصلي بأطراف الصفوف ثم الصفوف الخلفية ثم أصبحنا لا نراه إلا بالمناسبات واعتقد أن هذا الشاب لو بادر جماعة المسجد وعلى رأسهم الإمام لمعالجته لما وصل إلى هذه الحال والله الموفق.

٤٠ ـ الـزوج

يحرص كثير من الشباب على الزواج من فتيات صالحات ولا شك أن هذا عمل طيب وفعل يجد كثير من الشباب بغيته.

ومن ثَمَّ يتزوج هذا الشاب ويتردد بين الناس فلان تزوج إمرأة صالحة! فلان تزوج إمرأة تقية! فلان تزوج امرأة تصوم الإثنين والخميس وهكذا.. ولكن الذي حدث إن هذا الشاب لم يغير من وضعه شيء.. بل الفتاة تغير وضعها فلم تعد تلك الفتاة الصالحة.. ولم يلحظ الأهل على زوجها تقدم فما السر.

السر كما يظهر لي إن هذا الشاب قد أثر على زوجته وهي بين يديه كما يقولون كالميت بيد المغسل.. فيجبرها على سماع الأغاني ومشاهدة الأفلام والسهر بالليل وعدم أداء الصلاة في وقتها حتى تجد هذه الفتاة قد تركت الالتزام بسبب أفعال زوجها.

وها هنا همسة بآذان الفتيات فأقول لهن اتقين الله ولا تضحين بدينكن من أجل هؤلاء الفسقة عليك بدعوة الزوج وعدم الاستسلام له وابذلي جميع الجهود لأن الملاحظ كثرة انتكاس الفتيات بسبب هؤلاء الأزواج وأكرر نداء لفتاة الإسلام بأن لا تجعل الدين ضحية لحبها لهذا الماجن ولا تجعل التزامها يذهب هباء منثورا من أجل عيون هذا المنحرف.

لقد صدمت عن فتاة كانت رمز للتدين والصلاح وكان اخوتها يضربون بها المثل بالتدين فكانت تصوم الإثنين والخميس وتقوم الليل وتحفظ لسانها بل وتتورع عن حضور الأعراس فتقدم لخطبتها شاب ينتمي لأسرة ثرية وزوجها أهلها بدون تردد وطار بها عريسها إلى خارج المملكة وأسكنها في فندق ضخم فسمعت أصوات الموسيقى في أرجاء هذا الفندق ولأول مرة في حياتها وبدأ زوجها يقلب القنوات الفضائية وهي مشدوهة ولم تحرك ساكناً حياء من الزوج! وهكذا حتى خلعت رداء الإلتزام وإرتدت رداء..! فالله المستعان.

فصل بأخبار المنتكسين

الرجال بن عنفوه

ذكره ابن أبي حاتم فقال: قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وفد بني حنيفة، وكانوا بضعة عشر رجلاً فأسلموا، سمعت أبي يقول ذلك.

قلت: لكنه ارتد وقتل على الكفر، فروى سيف بن عمر في الفتوح، عن مخلد بن قيس البجلي قال: خرج فرات بن حيان، والرجال بن عنفوة، وأبوهريرة من عند رسول الله ﷺ فقال: «لضرس أحدهم في النار أعظم من أحد، وإن معه لقفا غادر» فبلغهم ذلك إلى أن بلغ أبا هريرة وفراتا قتل الرجال فخرا ساجدين. وروى الواقدي عن رافع بن خديج قال: كان في الرجال بن عنفوة من الخشوع واللزوم لقراءة القرآن والخير فيما يرى رسول الله ﷺ شيء عجيب، فخرج علينا يوماً والرجال معنا جالس، فقال: أحد هؤلاء النفر في النار، قال: رافع فنظرت فإذا هم أبوهريرة وأبو أروى والطفيل بن عمرو، والرجال، فجعلت أنظر وأتعجب، فلما ارتدت بنو حنيفة سألت مافعل الرجال؟

فقالوا: افتتن وشهد لمسيلمة أن رسول الله أشركه في الأمر، فقلت: ماقال رسول الله ﷺ هو الحق قالوا: وكان الرجال يقول كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا يعني مسيلمة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وقال ابن كثير وقد كان الرجال هذا قد وفد إلى النبي ﷺ وقرأ البقرة وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام. فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة قال سيف ابن عمر عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة كنت يوماً عند النبي ﷺ في رهط معنا الرجال ابن عنفوة فقال: إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد. فهلك القوم وبقيت أنا والرجال متخوفاً لها. حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة رواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة. وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل، بن حسنة. وعلى المجنبتين زيداً وأبا حذيفة. وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين وقتل ستين فارساً. عليهم مجاعة بن مرارة. وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر وهو

(١) الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٤٤٦.

راجع إلى قومه فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدقهم وأمر بضرب أعناقهم كلهم سوى مجاعة فأنه استبقاه مقيداً عنده. لعلمه بالحرب والمكيدة وكان سيداً في بني حنيفة شريفاً مطاعاً ويقال: إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يابني حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبي ومنكم نبي فقتلهم إلا واحداً اسمه سارية فقال له: أيها الرجل إن كنت تريد عداً بعدول هذا خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل - يعني مجاعة بن مرارة - فاستبقاه خالداً مقيداً وجعله في الخيمة مع امرأته وقال: استوصى به خيراً فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه اليوم يوم الغيرة اليوم إن هزمتم تستنكم النساء سبيات وينكحن غير حظيات فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كتيب يشرف على اليمامة فضرب بن عسكره. وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس والعرب على راياتها ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها مجاعة وقال نعمت الحره هذه، وقد قتل الرجال بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس:

بئس ماعودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: اخلصنا ياخالد فخلصت له[١].

(١) البداية والنهاية جـ٦/٣٢٨، ٣٢٩.

بلعام بن باعورا

قال تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) ﴾.

واختلف أهل التفسير فيمن نزلت هذه الآيه فقيل إنها نزلت فى أميه بن الصلت وقيل بغيره ولكن أشهر الأقوال أنهابلعام بن باعورا وكان من بنى اسرائيل المتقدمين وكان مجاب الدعوه فلا يسأل الله شيئاً إلا اعطاها إياه وكان يعلم اسم الله الأعظم وكان من مدينه الجبارين بل اغرب بعض اهل العلم بأنه أتي النبوه فانسلخ منها وهو غير صحيح وقد روي عن ابن عباس انه قال«إنه لما نزل موسى بالجبارين ومن معه ذهب بنو عم بلعام إليه أى إلى بلعام وشكو له قوة موسى وقومه والخطر المحدق بهم من جراء دخول أرضهم فقال له إنى إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله ماكان عليه وقال السدى : لما انقضت الأربعون سنه بعث يوشع بن نون نبياً فدعا بنى اسرائيل فأخبرهم أنه نبى وأن الله أمرهم أن

يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه، وانطلق رجل من بنى اسرائل يقال له بلعام وكان عالماً يعلم الاسم الأعظم المكتوم فكفر « لعنه الله» وأتى الجبارين وقال لهم لاترهبوا بنى اسرائيل فإني إذا خرجتم فقاتلهم أدعوا عليهم دعوه فيهلكهم وكان عنده فيما شاء من الدنيا غير انه كان لايأتى النساء لعظمهن فكان ينكح اتانا له وهو الذي قال الله تعالى ﴿**فانسلخ منها**﴾ وقوله تعالى ﴿**فأتبعه الشيطان**﴾ أي استحوذ عليه وعلى أمره فمهما أمره امتثل وأطاعه ولهذا قال ﴿**فكان من الغاوين**﴾ أي من الحالكين الحائرين البائرين وقد ورد في معنى هذه الآية حديث رواه الحافظ ابو يعلى الموصلى فى مسند حيث قال : حدثنا: محمد بن مرزوق حدثنا: محمد بن بكر عن الصله بن بهرام حدثنا: الحسن حدثنا جندب البجلى فى هذا المسجد أن حذيفه يعنى بن اليمان رضى الله عنه حدثه قال قال: رسول الله ﷺ «إن مما أتحذف عليكم رجل قراء القرآن حتى اذا رؤيت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ماشاء الله انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك . . قال قلت يانبي الله أيهما أولى بالشرك المرمى أو الرامى ؟ قال «بل الرامي» هذا إسناد جيد والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين ولم يرم بشيء سوى الإرجاء، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرها وقال: تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أى رفعناه من الدنس من قاذورات الدنيا بالآيات التي أتيناها إياه وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أى مال لزينة الحياة

الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتهاونعيمها، وغرته كما غرت غيره من اولى البصائر والنهى وقد سيقت هذه القصة بروايات مختلفة، ولكن الجامع بينهما أن الله أمر نبيه محمداً أن يقص هذه القصه على بنى إسرائيل العالمين بحال بلعام وما جرى له فى الله اياه وابعاده عن رحمته بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه بتعليمه اسم الله الأعظم فى غير طاعة ربه بل بل دعا حزب الرحمن وشعب الإيمان إتباع عبده ورسوله فى ذلك الزمان كليم الله موسى بن عمران لذا قال تعالى: ﴿لعلهم يتفكرون﴾ أي يحذروا أن يكونوا مثله فإن الله قد أعطاهم علماً وميزهم على من عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة الرسول يعرفونها كما يعرفون أبناءهم وهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومؤازته ومناصرته(تفسير بن كثير ج/ ٢) .

عبدالله القصيمي

لعل من أشهر المنتكسين في هذا العصر عبدالله القصيمي الذي نال من العلم كثيراً وبرع فيه وخاصة علم العقيدة وأثنىٰ عليه معاصروه وجرد قلمه في الرد على مخالفي أهل السنة والجماعة وعلى القادحين في الإمام محمد بن عبدالوهاب فرد على الدجوي في كتابه البيارق النجدية وألف كتابه الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم، وله كتاب عن الوثنية يقال إنه من أروع ما كتب في هذا المجال.

قال عنه معاصروه: إننا لم نره قط إلا وقد تأبط كتاباً وكان مولعاً بقراءة صحيح البخاري ومن المعلوم أن انتكاس العابد غير مستغرب ولكن العجيب هو انتكاس العلماء الذين وصفهم الله بأنهم أشد الناس خشية لله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ولكن هذا الرجل كانت به آفة كانت تنخر به ولم يوقف جماحها، ولم يبادر في معالجتها ولم يحرص على استئصالها من شأفتها حتى قضت عليه قضاءً مبرماً وأردته خارج دائرة الإيمان ومرتداً عن الإسلام كافر بالرحمن وهذه الآفة ألخصها بنقاط:

أ ـ تحقير الآخرين.

ب ـ الثناء على النفس وتزكيتها.

جـ ـ الحسد لمن قبله من أنداده من أهل العلم وقرناءه كما يزعم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ .

وجميع هذه النقاط يجمعها الغرور والإعجاب بالنفس، وقد شهد لهذه الآفة أشعاره التي يبدأ بها في كتبه ومن ذلك قوله:

لـــو أنصفـــوا كنـــت المقـــدم في الأمـــر
ولم يطلبـــوا غيري لـــدىٰ الحـــادث النكـــر
ولم يـــــرغبـــــوا إلا إلي إذا ابتغـــــوا
رشـــاداً وحـــزمـــاً يعـــذبـــان عـــن الفكـــر
ولم يـــذكـــرو غيري متـــى ذكـــر الـــذكـــا
ولم يبصروا غيري لـــدى غيبـــة البـــدر
فمـــا أنـــا إلا الشمـــس في غير بـــرجهـــا
ومـــا أنـــا إلا الـــدر في لجـــج البحـــر
بلغـــت بقـــولي مـــا يـــرام مـــن العـــلا
فمـــا ضرني نقـــد الصـــوارم والسمـــر
أسفـــت على علمـــي المضـــاع ومنطقـــي
وقـــد أدركـــا لـــو أدركـــا غـــايـــة الفخـــر
أرىٰ كـــل قـــوم يحفظـــون أديبهـــم
ويجـــزونـــه بـــالعـــز والمـــال والشكـــر
خـــلا معشري مـــا عنـــدهـــم لأديبهـــم
ســـوى الحســـد الممقـــوت والبغـــض والهجـــر

إذا قام فيهم ناشيء ذو مخايل
تدل على العلياء والحسب الحر
أطاحوه غضاً قبل أن يبلغ المدى
وقاموا على أعواده الخضر بالكسر
ومما شجاني أن أراهم إذا رأو
غبياً دعيَّ العلم والدين والشعر
تولوه بالألطاف والعطف والرضا
وذلوا له ذل الحوادث للدهر
فكم عز فيهم من جهول مبلد
وكم ذل منهم من عليم ومن حبر
لقد ضقت ذرعاً بالبيان فإنني
رأيت بياني ناقصاً عندهم قدري
ورغبني في الجهل أني رأيتنا
يسود لدينا كل من لم يكن يدري
نوائب دهر تترك الحر حائراً
وليس بمظلوم لديه سوى الحر

وقال أيضاً:

حاشا لهم أن يعدلوا بي واحدا
من بعد ما وضحت لهم أنبائي
وأعيذهم من أن يعيل أديبهم
وأديب كل الناس في النعماء

عابوا على تمدحي وتمدحي
بأصالتي وشجاعتي وذكائي
إن لم يبح مدح الفتى أخلاقه
بيضاً فأي تمدح وثناء

فانظر رعاك الله إلى هذا البائس كيف ارتد بعد إسلامه، وكيف أصبح من جلسائه أصحاب الكفر والغانية والكأس بل وألف كتاباً يستهزيء به بالتوحيد وأهله فتصدى له بعض أهل العلم والفضل وكشف زيغه ورد ضلالته فلله الحمد والمنه.

فالحذر الحذر من الوقوع في هذه المهلكة التي وقع فيها وأعتقد أنه الغرور والإصرار عليه.

ملاحظة:

وقد يقول قائل: إن الذي اعتاده من الشعراء الثناء على أنفسهم من خلال أشعارهم فالرد من وجوه:

١ ـ العبرة بالشرع لا فعل العرب ﴿**ولا تزكوا أنفسكم**﴾.

٢ ـ قد تقبل التزكية في أمور دنيوية وهذا ما حدث في خبر كعب بن مالك ولكن التزكية في أمور شرعية غير مقبولة شرعاً.

٣ ـ اشتهر عند العرب أن يثني الشاعر على قصيدته لتحظى بالقبول لا على نفسه ولو أثنى على نفسه فهو بحدود المعقول وإن كان ممقوتاً.

٤ ـ عدم الاستهزاء بالآخرين وتحقيرهم كما فعل هذا البائس.

قصة قارون

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة القصص].

قال الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان قارون ابن عم موسى، وكذا قال إبراهيم النخعي

وعبدالله بن الحارث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وزاد فقال: هو قارون بن صهيب بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث قال ابن جرير: وهذا قول أكثر أهل العلم: أنه كان ابن عم موسى، ورد قول ابن عباس أنه كان عم موسى قال قتادة: وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغى، لكثرة ماله وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبراً طولاً ترفعاً على قومه.

وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه، حتى أن مفاتحه كان يثقل حملها على الفئام «أي الجماعة من الناس» من الرجال الشداد. وقد قيل إنها كانت من الجلود وإنها كانت تحمل على ستين بغلاً والله أعلم.

برصيصا الراهب

ذكر أهل التفسير أن عابداً من بني إسرائيل كان يقال له: برصيصاً تعبَّد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يوماً مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني برصيصاً، فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا أكفيكه، فانطلق علىٰ صفة الرهبان، وأتىٰ صومعته فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأىٰ أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصاً، أطلع فرآه منتصباً يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصاً: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقبل إليه برصيصا أربعين يوماً، ثم انفتل، فرآه يصلي، فلما رأىٰ شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، ولا ينفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوماً، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصاً اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصاً: إني منطلق عنك، فإن لي

صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرىٰ، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك علىٰ برصيصا، وكره مفارقته، فلما ودَّعه قال له الأبيض: إن عندي دعواتٍ أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلىٰ فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، فأخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة، فلم يزل به حتىٰ علمه إياها، ثم انطلق إلىٰ إبليس فقال: قد والله أهلكتُ الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرَّض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوىٰ علىٰ جنِّيِّه، ولكن سأرشدكم إلى من يدعوا له فيعافىٰ، فقالوا له، دُلَّنا، قال: انطلقوا إلىٰ برصيصاً العابد، فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه، فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنهم الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصاً، فيُعافون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطبِّب فقال: أعالجها، قالوا: نعم. فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا، ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: فكيف لنا أن يقبلها منا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه، فأبىٰ عليهم، فوضعوها عنده، وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في

ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافىٰ، وتنصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسناً وجمالاً فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلىٰ أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يابرصيصا قد افتضُحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فإن سألوك عنها: فقل: جاء شيطانها فذهب بها فلم يزل به حتىٰ قتلها ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء أخوتها، يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصاً ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدقوه وانصرفوا وفي بعض الروايات أنه قال: دعوتُ له فعافاها الله فرجعت إليكم فتفرقوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسوا جاء الشيطان إلىٰ كبيرهم في منامه فقال: ويحك، إن برصيصاً فعل بأختك كذا وكذا وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصاً خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، ولا يكترث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر مثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا فقال الأوسط: وأنا والله فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصاً، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اتهمتموني، قالوا: لا والله، واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونه في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من

التراب، فانطلقوا فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: ياعدو الله لم قتلتها؟ اهبط فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً ثم قادوه إلى الملك فأقرَّ على نفسه، وذلك أن الشيطان عرض له، فقال: تقتلهاثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بقتله وصلبه، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، ويحك ما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييت من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباهك من الناس؟! فإن متَّ على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتىٰ أنجيك وآخذ بأعينهم، وأُخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي فسجد له، فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك أن كفرت ﴿أني بريء منك﴾ ثم قتل. فضرب الله هذا المثل لليهود حين غرهم المنافقون ثم أسلموهم.

﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾

وروى عبدالرزاق في مصنفه عن معمر عن عثمان الجزري عن مقسم مولى ابن عباس قال معمر: وحدثني الزهري ببعضه قال: إن ابن أبي معيط وأبي بن خلف الجمحي التقيا فقال عقبة بن أبي معيط لأبي بن خلف وكانا خليلين في الجاهلية وكان أُبي بن خلف أتى النبي فعرض عليه الإسلام فلما سمع ذلك عقبة قال: لا أرضى عنك حتى تأتي محمداً فتتفل في وجهه وتشتمه وتكذبه قال: فلم يسلطه الله على ذلك فلما كان يوم بدر أُسر عقبة بن أبي معيط في الأسارى فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب أن يقتله فقال عقبة: يامحمد: من بين هؤلاء أُقتل؟ قال: نعم. قال: لِمَ؟ قال: بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله قال معمر وقال مقسم: فبلغنا والله أنه قال فمن للصبية؟ قال: النار. قال فقام إليه علي بن أبي طالب فضرب عنقه.

وأما أُبي بن خلف فقال: والله لأقتلن محمداً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي ﷺ إلى أُبي بن خلف فقيل: إنه لما قيل لمحمد ما قلت قال: بل أنا أقتله إن شاء الله فأفزعه ذلك وقال: أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك؟ قال: نعم فوقعت في نفسه لأنهم لم يسمعوا

رسول يقول قولاً إلا كان حقاً فلما كان يوم أُحد خرج أُبي بن خلف مع المشركين فجعل يلتمس غفلة النبي ﷺ ليحمل عليه فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي ﷺ فلما رأىٰ ذلك رسول الله ﷺ قال لأصحابه: خلّوا عنه فأخذ الحربة فجزله بها يقول: رماه بها فيقع في ترقوته وتحت تسبعه البيضة وفوق الدرع فلم يخرج منه كبير دم واحتقن الدم في جوفه فجعل يخور كما يخور الثور فأقبل أصحابه حتى احتملوه وهو يخور وقالوا: ما هذا؟ فوالله ما بك إلا خدش فقال: والله لو لم يصيبني إلا بريقه لقتلني أليس قد قال: أنا أقتله إن شاء الله والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم قال: فما لبث إلا يوماً أو نحو ذلك حتى مات إلى النار فأنزل الله فيه ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه**﴾ إلى قوله: ﴿**الشيطان للإنسان خذولا**﴾.

أوردها ابن الجوزي في الدر المنثور ج٥ ص٦٨ أخرج ابن مردويه وأبونعيم في الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أبامعيط كان يجلس مع النبي ﷺ لا يؤذيه وكان رجلاً حليماً وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش: صبأ أبومعيط وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمراً قال: ما فعل خليلي أبومعيط فقالت: صبأ فبات بليلة سوء! فلما أصبح أتاه أبومعيط فحياه فلم يرد عليه التحية

فقال: مالك لا ترد عليَّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبأت؟ قال: أوقد فعلتها قريش قال: نعم؟ قال: فما يبريء صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم ففعل فلم يزد النبي أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال: «إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبر» فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج فقال له أصحابه: أخرج معنا قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً فقالوا: لك جمل أحمر لا يدركه فلو كانت الهزيمة طرت عليه فخرج معهم فلما هزم الله المشركين ودخل به جمله في جدد من الأرض فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش وقدم إليه أبومعيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء قال: نعم بما بزقت في وجهي، فأنزل الله في أبي معيط ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه**﴾ إلى قوله ﴿**وكان الشيطان للإنسان خذولا**﴾.

وقال مقبل الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول والحديث لم يتيسر لي الوقوف على سنده لكن في مصنف عبدالرزاق ج٥ ص٣٥٥، ٣٥٦ وتفسير ابن جرير الطبري قصة تشبهها وهي مرسلة لكن بدل عقبة بن أبي معيط أُبي بن خلف ونحن الآن متوقفون من الحكم لأن السيوطي رحمه الله متساهل.

النعمان بن محمد بن منصور

العلامة المارق قاضي الدولة العبيدية أبوحنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربي. كان مالكياً فارتد إلى مذهب الباطنية، ونبذ الدين وراء ظهره وألف في المناقف والمثالب ورد علىٰ أئمة الدين وانسلخ من الإسلام فسحقاً له وبعداً.

ونافق الدولة لا بل واقفتهم وكان ملازماً للمفر بن تميم منشىء القاهرة وله يد طولى في فنون اللغة والعلوم والفقه والاختلاف ونفس طويل في البحث فكان علمه وبالاً عليه.

صنف كتاباً في الرد علىٰ أبي حنيفة في الفقه وعلى مالك والشافعي وانتصر لفقه أهل البيت وله كتاب في اختلاف العلماء وكتبه كبار مطوله وكان وافر الحشمة عظيم الحرمة، في أولاده قضاة وكبراء وانتقل إلى غير رضوان الله بالقاهرة في رجب سنة ثلاث وستين وثلاث مائة.

من انفتن في الجهاد

كان شاباً من أحرص الشباب على حفظ كتاب الله حتىٰ حفظه وأتقنه وسمع عن الجهاد وما أعده الله للشهداء فتاقت نفسه إلى هذه الفضيلة العظيمة والمنزلة الكريمة للشهداء فقرر أن يظفر بهذه المزية وسافر إلى البوسنة وكان على موعد مع أصحابه أن يتصل بهم حين وصوله فتأخر بالاتصال فخافوا عليه لانقطاع أخباره فذهبوا للبحث عنه ففوجؤوا بوجوده بحانوت لبيع الخمور وفي هذا الصدد أيضاً حدثني أحد المجاهدين أن رفيقاً لهم أغرته فتاة بمنظرها فجلبته إليها بعطرها وكانوا في حافلة فلما وصلوا إلى أحد المناطق فوجؤوا باختفاء صاحبهم وهذه الفتاة وبالمناسبة أنصح الشباب أن يعلموا واقع الجهاد قبل أن يتجهوا عليه وأن يتعرفوا على ما فيه من فتن حتى لا يقعوا فريسة للشيطان فيسهل اصطيادهم وهذا يتلخص بأمور:

أ ـ أن لا يسافروا للجهاد إلا برفقة صالحة لأن المنفرد يسهل اصطياده.

ب ـ أن يتسلحوا بالعلم الشرعي.

جـ ـ أن يحرصوا على الابتعاد عن مواطن الفتن ما استطاعوا إليه سبيلاً.

د ـ أن يخلصوا في نياتهم ويصدقوا مع ربهم وأن لا يغيروها.

جبلة بن الأيهم

هو جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، واسمه المنذر بن الحارث، وهو ابن ماريه ذات القرطين، وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، واسمه كعب أبوعامر بن حارثة بن امريء القيس، ومارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفن، ويقال غير ذلك في نسبه، وكنيته جبله أبوالمنذر الغساني الجفني، وكان ملك غسان، وهم نصارى العرب أيام هرقل، وغسان أولاد عم الأنصار وأوسها وخزرجها، وكان جبله آخر ملوك غسان فكتب إليه رسول الله ﷺ كتاباً مع شجاع بن وهب يدعوه إلى الإسلام فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ وقال ابن عساكر: إنه لم يسلم قط، وهكذا صرح به الواحدي وسعيد بن عبدالعزيز. وقال الواقدي: شهد اليرموك مع الروم أيام عمر بن الخطاب ثم أسلم بعد ذلك في أيام عمر، فاتفق أنه وطيء رداء رجل من مزينه بدمشق فلطمه ذلك المزني، فدفعه أصحاب جبله إلى أبي عبيدة فقالوا: هذا لطم جبله، قال أبوعبيدة: فيلطمه جبله فقالوا: أوما يقتل؟ قال: لا، قالوا: فما نقطع يده، قال: لا، إنما أمر الله بالقود فقال جبله: أترون إني جاعل وجهي بدلاً لوجه مازني جاء من ناحية المدينة؟ بئس الدين هذا، ثم ارتد نصرانياً وترحل بأهله

حتى دخل أرض الروم، فبلغ ذلك عمر فشق عليه، وقال لحسان: إن صديقك جبلة ارتد عن الإسلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: ولم؟ قال: لطمه رجل من مزينه فقال: وحق له، فقام إليه عمر بالدرة فضربه. ورواه الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس وساق ذلك بأسانيده إلى جماعة من الصحابة وهذا القول هو أشهر الأقوال، وقد روى ابن الكلبي وغيره أن عمر لما بلغه إسلام جبله فرح بإسلامه، ثم بعث يستدعيه ليراه بالمدينة، وقيل بل استأذنه جبلة في القدوم عليه فأذن له فركب في خلق كثير من قومه، قيل مائة وخمسين راكباً، وقيل خمسمائة، وتلقته هدايا عمر وأنزله قبل أن يصل إلى المدينة بمراحل وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً دخلها وقد ألبس خيوله قلائد الذهب والفضة، ولبس تاجاً على رأسه مرصعاً باللآليء والجواهر، وفيه قرط ماريه جدته، وخرج أهل المدينة رجالهم ونساؤهم ينظرون إليه، فلما سلم على عمر رحب به عمر وأدنى مجلسه وشهد الحج مع عمر في هذه السنة، فبينما هو يطوف بالعكبة إذ وطيء إزاره رجل من بني فزارة فانحل، فرفع جبلة يده فهشم أنف ذلك الرجل، ومن الناس من يقول: إنه قلع عينه واستعدى عليه الفزاري إلى عمر ومعه خلق كثير من بني فزارة فاستحضره عمر فاعترف جبله، فقال له عمر: أقد الرجل منك فقال: كيف وأنا ملك وهو سوقه قال: إن الإسلام جمعك وإياه فلست تفضله إلا بالتقوى، فقال جبله: قد كنت أظن أن أكون في

الإسلام أعز مني في الجاهلية فقال عمر: دع ذا عنك فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك، فقال: إذاً اتنصر، فقال: إذا تنصرت ضربت عنقك فلما رأى الجد، قال: سأنظر في أمري هذه الليلة، فانصرف من عند عمر. فلما أدلهم الليل ركب في قومه ومن أطاعه فسار إلى الشام ثم دخل بلاد الروم ودخل على هرقل في مدينة القسطنطينية فرحب به هرقل وأقطعه بلاداً كثيرة وأجرى عليه أرزاقاً جزيلة وأهدى إليه هدايا جميلة، وجعله من سماره، فمكث عنده دهراً ثم إن عمر كتب كتاباً إلى هرقل مع رجل يقال له جثامه بن مساحق الكناني، فلما بلغ هرقل كتاب عمر بن الخطاب قال له هرقل: هل لقيت ابن عمك جبله؟ قال: لا قال: فألقه فذكر اجتماعه به وما هو فيه من النعمة والسرور والحبور الدنيوي في لباسه وفي مجلسه وطيبه وجواريه حواليه الحسان من الخدم والقيان ومطعمه وشرابه وسروره وداره التي تعوض بها عن دار الإسلام وذكر أنه دعاه إلى الإسلام والعود إلى الشام فقال: أبعد ما كان مني من الارتداد؟ فقال: نعم إن الأشعث بن قيس ارتد وقاتلهم بالسيوف، ثم لما رجع للحق قبله منه وزوجه الصديق بأخته أم فروه قال: فالتهى عنه بالطعام والشراب وعرض عليه الخمر فأبى عليه وشرب جبله من الخمر شيئاً كثيراً حتى سكر ثم أمر جواريه المغنيات فغنينه بالعيدان من قول حسان يمدح بني عمه من غسان والشعر في والد جبله هذا الحيوان.

لله در عصابة نادمتهم
يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم
قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمه أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول
يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

قال: فأعجبه قولهن ذلك، ثم قال: هذا شعر حسان بن ثابت الأنصاري فينا وفي ملكنا ثم قال لي: كيف حاله؟ قلت: تركته ضريراً شيخاً كبيراً، ثم قال لهن: اطربنني فاندفعن يغنين لحسان أيضاً.

لمن الديار أوحشت بمغان
بين أعلا اليرموك فالصمان
فالقريات من بلامس فداريـ
ـا فسكاء لقصور الدواني
فقفا جاسم فأوديه الصـ
ـفر مغنى قبائل وهجان

تلـــك دار العـــزيـــز بعـــد أنيـــس
وحلـــولا عظيمـــة الأركـــان
صلـــوات المسيـــح في ذلـــك الـــديـ
ـــرعـــاء القسيـــس والـــرهبـــان
ذاك مغنـــى لآل جفنـــة في الـــدهـ
ـــر محـــاه تعـــاقـــب الأزمـــان
قـــد أداني هنـــاك حـــق مكين
عنـــد ذي التـــاج مجلسي ومكـــاني
ثكلـــت أمهـــم وقـــد ثكلتهـــم
يـــوم حلـــوا بحـــارث الحـــولاني
وقـــد دنـــا الفصـــح فـــالـــولائـــد ينظمـ
ـــن سراعـــاً أكلـــة المـــرجـــان

ثم قال: هذا لابن الفريعة حسان بن ثابت فينا وفي ملكنا وفي منازلنا بأكناف غوطة دمشق قال: ثم سكت طويلاً، ثم قال لهن:

بكينني فوضعن عيدانهن ونكسن رؤوسهن وقلن:

تنصرت الأشراف مـــن عـــار لطمـــة
ومـــا كـــان فيهـــا لـــو صبرت لهـــا ضرر
تكنفنـــي فيهـــا اللجـــاج ونخـــوة
فبعـــث بهـــا العين الصحيحـــة بـــالعـــور

فياليت أمي لم تلدني وليتني
رجعت إلى القول الذي قاله عمر
وياليتني أرعى المخاض بقفرة
وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
وياليت لي بالشام أدنى معيشة
أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة
وقد يصبر العود الكبير على الدبر

قال: فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه وبكيت معه ثم استدعى بخمسمائة دينار هرقلية فقال: خذ هذه فأوصلها إلى حسان بن ثابت وجاء بأخرى فقال: خذه هذه لك فقلت لا حاجة لي فيها ولا أقبل منك شيئاً وقد ارتددت عن الإسلام فيقال: إنه أضافها إلى التي لحسان، فبعث بألف دينار هرقلية، ثم قال له: أبلغ عمر بن الخطاب مني السلام وسائر المسلمين، فلما قدمت على عمر أخبرته خبره فقال: ورأيته يشرب الخمر؟ قال: نعم قال: أبعده الله، تعجل فانيه بباقيه فما ربحت تجارته، ثم قال: وما الذي وجه به لحسان؟ قلت: خمسمائة دينار هرقلية فدعا حساناً فدفعها إليه فأخذها وهو يقول:

إن ابن جفنة من بقية معشر
لم يغرهم أباؤهم باللوم

لم ينسني بالشام إذ هو ربها
كلا ولا متنصراً بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده
إلا كبعض عطية المحروم
وأتيته يوماً فقرب مجلسي
وسقا فرواني من المذموم

ثم لما كان في هذه السنة من أيام معاوية بعث معاوية عبدالله بن مسعده الفزاري رسولاً إلى ملك الروم، فاجتمع بجبله بن الأيهم فرأى ما هو فيه من السعادة الدنيوية والأموال من الخدم والحشم والذهب والخيول، فقال له جبلة: لو أعلم أن معاوية يقطعني أرض البثينة فإنها منازلنا، وعشرين قربه من غوطة دمشق ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا لرجعت إلى الشام فأخبر عبدالله بن مسعده معاوية بقوله، فقال معاويه: أنا أعطيه ذلك وكتب إليه كتاباً مع البريد بذلك فما أدركه البريد إلا وقد مات في هذه السنة قبحه الله وذكر أكثر هذه الأخبار الشيخ أبوالفرج بن الجوزي في المنتظم، وأرخ وفاته هذه السنة أعني سنة ثلاث وخمسين وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه فأطال الترجمة وأفاد ثم قال في آخرها بلغني أن جبله توفى في خلافة معاوية بأرض الروم بعد سنة أربعين من الهجرة.

وقد وردت بطريق آخر قريب من هذا الطريق أورده مقبل

الوادعي في كتابه الصحيح المسند.

جبلة بن الأيهم الغساني: لما افتتحت الشام ونظر جبلة إلى هدي المسلمين ووقارهم أحب دخول الإسلام فسار نحو المدينة إلى عمر بن الخطاب فلما بلغ عمر قدومه قال للمهاجرين: استقبلوه وأظهروا تعظيمه وتبجيله فإنه قريب عهد بالملك فاستقبله الناس وأظهروا بره وأقبل جبلة حتى دخل على عمر رضي الله عنه فقرَّب مجلسه وأدناه ووعده من نفسه خيراً فأسلم وأقام بالمدينة حتى إذا حضر أوان الموسم حج عمر وخرج معه جبلة فبينا هو يطوف بالبيت محرماً وعليه إزاران قد تردى بواحد واتزر بالآخر إذ وطيء رجل طَرَف إزاره فانحل عنه حتى بدت عورته فغضب ووثب على الرجل فلطمه فتعلق به الرجل وجماعة معه وانطلقوا به إلى عمر وشهدوا عليه فقال عمر: أقدِ الرجل أو استوهبه منه. فقال جبلة: وكذلك هذا الدين لا يفضل فيه شريف على وضيع ولا ملك على سُوقة؟ قال عمر: قال تعالى وقوله الحق: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾إن الناس شريفهم ووضيعهم في الحق سواء فانصرف جبلة فلما جنَّ عليه الليل خرج في حشمه وعياله حتى لحقوا بأرض الشام مرتداً عن الإسلام فكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح فأمره أن يستتيب جبلة فإن تاب وإلا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج من أرض الشام حتى دخل أرض الروم وأتى الملك فأخبره بأمره ورجوعه إلى النصرانية فسرَّ الملك بقدومه واستخلفه على ملكه

وجعله جائز الأمر في سلطانه فأقام عنده فلما ولي معاوية ابن أبي سفيان بعث رجلاً من الأنصار يقال له تميم بن بشر إلى قيصر ملك الروم في بعض أموره قال تميم: فلما دخلت على قيصر وأبلغته الرسالة وجلست عنده فحدثني ملياً ثم قال: هل لك في لقاء رجل من العرب من أهل بيت الملك فقلت: ومن هو؟ قال: جبلة بن الأيهم. قلت: إن لي في ذلك أملاً وإني لرجل من قوم فبعث معي رجلاً حتى أدخلني عليه وهو في مجلس له يغشى العيون حسنه وكثرة تصاويره مطلية حيطانه بماء الذهب والفضة تتلألأ وحوله نفر من بطارقة الروم فسألني من أنا فانتسبت له فقال: حياك الله فإننا بنو عم ثم أمر جلساءه فخرجوا من عنده وخلا بي يسألني عن العرب وأماكنها فخبرته بجميع ما سألني عنه فبكى حتى أخضبت لحيته الدموع ثم أنشأ يقول:

تنصرت بعد الدين من عار لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني فيها اللجاج ونخوة
وبعت بها العين الصحيحة بالعور

ويا ليت أمي لم تلدني وليتني
ثويت أسيراً في ربيعة أو مضر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة
ولم أنكر القول الذي قاله عمر

ويـاليت لي بالشام أدنى معيشة
أُجالس قومي في العشيات والبكر
أدينُ لما دانوا به من شريعة
وقد يجلس العير الضجور على الدبر

قال: ثم دعا بغذائه فتغدينا فلما فرغت خرجت علينا جاريتان في يد إحداهما بَرْبَط وفي اليد الأخرى مزمار فجلست ثم خرجت علينا جاريتان في يد إحداهما جام فيه مسك مسحوق وفي يد الأخرى جام مملوء بماء ورد ثم أقبل طائران كانا شبيهين بطاووسين أو تُدْرُجَيْن فسقطا في الجام واحتملا المسك بجناحيهما فرشاه علينا وقال جبلة للمغنيتين: غنيانا فغنتاه:

لمن الدار أقفرت بمغان
بين أعلى اليرموك فالصمان
ذاك مغنى لآل جنته في الدهر
وحق تصرف الأزمان
قد أراني هناك حقاً مكيناً
عندي ذي النجاح معتدي ومكاني

قال: ثم بكىٰ حتى أخضلت دموعه لحيته ثم قال: غنياني فغنتاه:

لله در عصابة نادمتهم
يوماً بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم
قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من هبط البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول

ثم قال لي: ما فعل ابن الفريعة؟ يعني حسان بن ثابت قلت: حي إلا إنه كف بصره فوجد من ذلك وجداً شديداً وبكى وقال لخادم له: انطلق فأتني بأربعمائة دينار فأتاه بها فناولنيها وقال: أوصلها إلى حسان. ثم ودعته وخرجت حتى أتيت المدينة ولقيت حسان ودفعت إليه الدنانير فقال:

إن ابن جفنة من بقية معشر
لم يغرهم أباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام إذ هو ربها
كلاً ولا متنصراً بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده
إلا كبعض عطية المحروم
ما جئته إلا وقرب مجلسي
ودعا بأفضل زاده المطعوم

أبوشجرة

وكان من الذين ارتدوا أبوشجرة بن عبدالعزىٰ وهو ابن للخنساء فقال:

فلو سألت عنا غداة مرامر
كما كنت عنها سائلاً لو نأيتها
لقاء بن فهر وكان لقاؤهم
غداة الجواء حاجة فقضيتها
صبرت لهم نفسي وعرجت مهري
على الطعن حتى صار ورداً كميتها
إذا هي صدت عن كمي أريده
عدلت إليك صدرها فهديتها

فقال أبوشجرة حين ارتد عن الإسلام:

صما القلب عن في هواه فأقصرا
وطاوع فيها العاذلين فأبصرا
وأصبح أدنى رائد الجهل والصبا
كما ودها عنا كذاك نقيرا
وأصبح أدنى رائد الوصل منهم
كما صلها من صلنا قد تبترا

ألا أيهـــا المـــدلي بكثـــرة قـــومـــه
وحظـــك منهـــم أن تضـــامـــا وتقهـــرا
وعـــاضرة شهبـــاء تخطـــر بـــالقنـــا
تـــرىٰ البلـــق مـــن صـــافـــاتهـــاوالسنـــورا
فـــرويـــت رمحـــي مـــن كتيبـــة خـــالـــد
وإني لأرجـــو بعـــدهـــا أن أعمـــرا

ثم إن ابا شجرة أسلم ودخل فيما دخل فيه الناس فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة فحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبدالرحمن بن أنس عن رجل من قومه قالوا: فأناخ ناخته بصعيد بن قريظة قال: ثم أتى عمر وهو يعطي المساكين من الصدقة فقال ياأمير المؤمنين أعطني فإني ذو حاجة قال ومن أنت قال أبوشجرة قال: أي عدو الله ألست الذي تقول:

فـــرويـــت رمحـــي مـــن كتيبـــة خـــالـــد
وإني لأرجـــو مـــن بعـــدهـــا أن أعمـــرا

قال: ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبعه فرجع إلى ناقته فارتحلها ثم أسندها في أرض بني شوران راجعاً إلى أرض بني سليم فقال:

ظـــن علينـــا أبـــوحفـــص بنـــائلـــة
وكل مختبط يوم لك ورق

مـــازال يـــرهقنـــي حتـــى خـــذيـــت لـــه
وحـــال مـــن دون بعـــض الـــرغبـــة الشفـــق
لمـــا وهبـــت أبـــا حفـــصٍ وشرطتـــه
والشيـــخ يفـــزع أحيـــانـــاً فينحمـــق
ثـــم ارعـــويـــت إليهـــا وهـــي جـــانحـــة
مثـــل الطـــريـــدة لمـــا ينبـــت لهـــا ورق
أوردتهـــا الخـــل مـــن شـــوران صـــادرةً
إني لأزري عليهـــا وهـــي تنطلـــق
تطير مـــرو أيـــان عـــن منـــاسمهـــا
كمـــا تنـــوقـــد عـــن الجهيـــذ الـــورق
إذا يعـــارضهـــا خـــرة تعـــارضـــه
ورهـــاء فيهـــا إذ استعجلتهـــا حـــرق
ينـــوء آخـــرهـــا منهـــا بـــأولهـــا
سرح اليـــديـــن بهـــا نهـــاضـــة العنـــق

تاريخ الطبري ج٢/ ٢٦٧.

عبيدالله بن جحش

وأورد ابن سعد في كتابه الطبقات خبر عبيد الله بن جحش وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قالت أم حبيبة رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة أشوهه ففزعت فقلت: تغيرت والله حاله فإذا هو يقول حيث أصبح: ياأم حبيبة إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات، وزاد ابن كثير أنه كان يعير المسلمين فيقول لهم أبصرنا وصأصأتم «صأصأ: كاد يفتح عينيه».

فوالله إن المرء ليحزن من هذه القصة فلم يتوقع إنسان أن مثل هذا يرتد وينتكس ومثار الغرابة أن هذا الرجل تحمل في سبيل الله ما تحمل فلقد آمن في وقتٍ عز فيه أهل الإيمان وصبر على الأذى من قريش وهاجر إلى الحبشة فاراً بدينه تاركاً أهله وماله بل ومات في أرض المهجر إن الإنسان لا يضمن لنفسه الثبات والبقاء على الدين بعد خبر هذا الرذل.. إن على المسلم أن يحتاط على دينه وأن يحافظ عليه ويعض عليه بالنواجذ لئلا يقع فيما وقع فيه هذا

الرجل.. وإنني على يقين جازم أن المسلم الحقيقي بعد سماعه لهذا الخبر سوف يصاب بالذهول ويضع يده على قلبه خشية من السقوط.

وقد يقول قائل لماذا لا يكون هذا الرجل منافقاً؟ فالجواب النفاق لم يظهر إلا في المدينة حيث أصبح الإسلام هو الظاهر أما في مكة فالعكس حيث أخفى كثير من المسلمين إسلامهم وإيمانهم خشية الفتنة.

فيارب رحماك بعبادك البأساء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

التجارة هي السبب

كان رمزاً لأهل التدين والالتزام محافظاً على الجمعة والجماعات جاهد والده المقصر وأخوته المهملين ومارس معهم جميع أساليب الدعوة فلما لم يجد نصحه سكن في منزل وتحمل أعباءه الماليه فارّ بدينه ناجياً بنفسه.

وأصبح مثالاً يحتذى فيه بحبه ورمزاً من رموزه وعرض عليه قريبٌ له أن يشاركه في افتتاح مؤسسة فوافق، وإستمر في وضعه حتى تطور أمره ثم بدأ يتعرف على بعض الكفرة الذين له معهم مصالح فكان يتغاضى عن بعض الأمور الشرعية وبدأ بمداهنتهم وتقديم التنازلات لهم وحاول أن يظهر معهم بصورة الشخص المتطور الذي لا يربط قضايا الدين بالعمل حتى اضمحل إيمانه وضعف يقينه وأزال الكثير من لحيته وأطال ثيابه وأصبح يقوم برحلات مكوكية حتى أصبح لا يحمل من الإسلام إلا اسمه وركعات يركعها متى ما سنحت له الفرصة.

قصة شاب انتكس بسبب مشاحنة

كان مقصراً في جانب الطاعات مهملاً في أداء عمله مقصراً في حق زوجته وعاش حياة البائسين فلا يمر يوم إلا وقد أنذره المدير ثم راجع أفكاره ودرس وضعه في جد وعرف الخلل إنه يكمن في أمور:

أ ـ شرب الدخان.

ب ـ ولعه في حب الكرة ومشاهدة المباريات.

جـ ـ السهر من غير فائدة.

فقرر أن يتخلص من هذه الأمور جميعاً فأقسم بالله أن لا يدخل إلى جوفه سيجاره واحدة وكم كانت سعادة زوجته عندما زف إليها الخبر وجاءني ووجهه يتهلل وقال لي إن زوجتي نذرت لله أن تنحر عشراً من الإبل إذا كنت جاداً في ترك الدخان فأخبرها بجديته فأرخى لحيته وقصر إزاره وبدأت مظاهر الإيمان تظهر على محياه وأصبح مثالاً رائعاً للمدرس المتمكن وأصبح يتلقى الشكر من مديره وبدأت بيني وبينه زيارات ووضعنا له دروساً أسبوعية نحفظ فيها كتاب الله ونقرأ فيها تفسيره وفي يوم من الأيام كان صاحبنا يمارس كرة القدم مع زملائه الطيبين وحدث بينه وبين أحد الصالحين احتكاك تطور إلى شجار وانتهى بسب وشتام. وغادر

الملعب فاستغل الموقف أحد رفاقه السيئين فبدأ يثيره ويشعل بينه وبين صاحبه الملتزم الشحناء حتى هجر صاحبه فاستغل أصحابه القدامى الفرصة وأعادوه إلى مجتمعهم كل ذلك بسبب أمور تافهة كان عليه أن يبادر بمعالجتها وألا يجعلها تؤثر عليه وقد صدق الرسول ﷺ عندما قال: «**إن الشيطان أيس أن يعبد في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينكم**».

وهذا الشاب من أطيب الناس قلباً وأحسنهم خلقاً. وقد أخبرت والكتاب بعد ذلك العتاب في مراحله الأخيرة أن هذا الشاب عاد إلى الحق وأنه الآن ممن يحملون هم الدعوة وقد حدث أن أخذت قصته ولكن لما تحمله من موعظة فلا بأس بإنبائها والله الموفق.

أقاربه أغروه بالكرة

كان شاباً من خيرة الشباب التزم في وقت عز فيه الملتزمون وندر فيه أهل الخير والدين تلقى أذى ولكنه حافظ على دينه وصبر على ما لقيه في سبيله.. حاول أصحابه وأقاربه رده عن الحق فما أفلحوا حتى عرفوا نقطة ضعفه وهي ولعه بحب الكرة فعرض عليه أبناء عمه الانضمام إلى فريقهم فرفض بحجة أنه مرتبط مع أخيار فعرض وعليه يوماً واحداً في الأسبوع واحتج بأن فيها صلة رحم فوافق على مضض وبدأ يلعب معهم ويحثهم على أداء الصلاة في وقتها وإنهاء اللعب فكانوا يستجيبوا له على مضض وأعجب بالوضع ثم زاد يوماً فأصبح يلعب معهم يومين في الأسبوع.

ثم بدأ بالتنازل عن ما يصدر منهم من ألفاظ ثم بدأ يدخل معهم في مناقشتهم قبل اللعب عن أحوال الكرة ونتائجها وترك أصحابه القدماء وبدأ يتنازل عن مسألة إنهاء اللعب قبل الأذان فأصبح إنهاءه مع الآذان مما جعله لا يؤدي الصلاة في المسجد بل يؤدها في الملعب وهكذا حتى هجر الصلاة بالكلية وترك الالتزام وعرض أشرطته الطيبة للبيع ونسخ على بعضها أغاني ومازال يعيش وضعاً مأساوياً اسأل الله أن يهديه.

قصة شاب انتكس بسبب قراءة رواية غربية

إن من المُسلم به أن المسلم يجب عليه أن يبتعد عن الأمور التي قد تؤثر عليه وقد تجلب له الشبه أو تثير غريزته وشهوته.

أو تجعله ينفتن في الغرب والشرق وذكر لي أحد الأحبة أن هناك شاباً مارس الدعوة واجتهد فيها بل وأصبح من البارزين في هذا المجال فيقول ثم فوجئت في يوم من الأيام بهذا الشاب وقد نزع الزينة عن وجهه وتغير وجهه وشكله بل وأصبح يسخر بأصدقائه القدماء ويقول لهم أمازلتم على هذا الوضع. فكان الأجدر بهذا أن يبتعد عن هذا المجال الذي يجلب له الشبه ولذا حذر أهل العلم من مجالسة المبتدعة خشية من الوقوع في ما وقع فيه فانظر كيف باع الدين برواية غربية.

قصة رجل ألحد بسبب قراءة البداية والنهاية

هناك أمور شرعية لا يستطيع العقل أن يتحملها أو يؤمن بها فهناك من ارتد عندما سمع بخبر الإسراء والمعراج لأن عقله أضعف من أن يستوعب مثل هذه القصة.

وحدثني أخ من السودان أن قريباً له قرأ الجزء الأول من كتاب البداية والنهاية لابن كثير ولما يحمله هذا الجزء من غرائب وعجائب عن الخلق وبدايته فلم يستطيع أن يتحمل هذه الأمور أو يصدقها فارتد على أدباره خاسراً؟

قصة شاب انتكس بسبب الدش

أعرف شاباً من بيئة صالحة كان يعيش حياة الغواية ولكنه فتش في نفسه فوجد الذنوب والمعاصي قد أعيته فبحث عن رفقة صالحة فوجد مجموعة من الشباب الأخيار فانضم إليهم ووجد منهم اهتماماً خاصاً فبدأ يحفظ القرآن فصاحب القرآن وبدأ بحفظه واقتنى أشرطته ورفض أن يستمع لغيرها بحجة أنها تشغله عن حفظ القرآن وسافر إلى مكة واعتكف بها العشر الأواخر وقضى فيهاستاً من شوال ثم عاد إلى الرياض وأنوار الإيمان تشع من وجهه وقال لي: لقد كنت محروماً فيما مضى من لذة العبادة والاعتكاف إنني أتمنى أن أضل طول العام معتكفاً وبدأ ينشط في دعوة أهله وأصبح باراً بوالدته فوجئت يوماً من الأيام بصاحبي ورفيق له يعرضان علي فكرة الذهاب إلى البوسنة والهرسك لنصرة إخواننا المسلمين هناك وقال لي: إنهما استمعا لخطبة إمام الجامع وتأثرا بما قال فأيدتهما على الفكرة ولكني سافرت قبل أن أكمل معهما المشروع ومضت الأيام وإذا بصاحبي يشتكي لي مما يعانيه في بيته من مشاكل من أخيه الأكبر الذي أدخل الدش وأنه لا يستطيع إخراجه إلا بمشاكل لا تحمد عقباها وإنه ذاق الأمرين من موقف والدته المتخاذل فأمرته بالصبر والاحتساب وأن يعالج الموضوع

بحكمة وأن يهدي لأخيه وزوجته أشرطة وكتيبات لعل الله أن يهديهما وزاد من اعجابي بهذا الشاب بره بوالده وحبه للعبادة فكان رمزاً للورع والتقوى وكان يسابق المؤذن في الدخول إلى المسجد ولكنني فوجئت بصاحبي وقد تغيرت ألفاظه فلم يعد صاحبي الذي أعرفه فمزاحه قد كثر وتعبده قد خف فسألته عن رفاقه فقال: إنه انقطع عنهم من أجل متابعة والده المريض فأثنيت عليه خيراً فقلت له: ملازمة والدك يجب ألا تعيقك عن حفظ القرآن وعليك ألا تقاطع أصحابك فوعدني خيراً ثم جاءتني الأخبار بإن صاحبي قد سافر إلى الخارج لإحضار من يقوم بالاعتناء بوالده فمرت الأيام وإذا به قد أخذ الكثير من لحيته وضعف في جانب الصلاة وترك حفظ القرآن فسألت أصحابه لماذا أهملتموه فأخبروني بإنهم قد بذلوا معه جهوداً وأنها لم تنجح فسألتهم عن الأسباب التي أدت إلى تغيره فقال لي بعضهم إن وجود الدش في بيته قد أثر عليه وإنه قد أدمن مشاهدته ولم يعد يطيق مفارقته وإذانوقش تعلل بإنه جهاز لا يستغنى عنه وإنه يتابعه من أجل الأخبار وهي حجة كل من ابتلى بهذا الداء ومازال وضع صاحبي سيء فاسأل الله أن يلطف بي وبه وأن يعيدني وإياه إلى الجادة وأن ينير له طريقه.

عبده بن عبدالرحيم

عبده بن عبدالرحيم قبحه الله. ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرين بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت أن تتنصر وتصعد إلي فأجابها إلى ذلك فما أراع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غماً شديداً وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا: يافلان ما فعل القرآن معك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ مافعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أنني أنسيت القرآن كله إلا قوله ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

وقد صار لي فيهم مال وولد، توفي سنة ٢٧٨هـ. ذكره ابن كثير في البداية ١١/ ٧٤.

الخاتمـــة

وفي الختام أشكر الله سبحانه وتعالىٰ على تيسيره وتسهيله، وعلى منِّه وكرمه، وعطفه وجوده، حيث يَسَّرَ لي إتمامَ هذا الكتاب، كما أَشكر كل من ساعدني أَو شجعني.

وأَخص من بينهم زملائي وإخواني الطلبة الذين ما ادَّخروا وسعاً بمساعدتي بنسخ ما أَحتاج إلى نسخه، وتخريج بعض الأَحاديث، ومراجعة الكتاب بعد طبعه؛ فأَسأل الله عز وجل أَن يوفقني وإِياهم وعموم المسلمين لما يحبه ويرضاه.

وأَقول في ختام هذا الكتاب: إنَّ هذا الكتاب لا يخلو كغيره من الأَخطاء، فما حصل به من صواب فمن الله. وما حصل من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأَستغفر الله وأَستعيذ به من الشيطان الرجيم.

كما أطلب من الأَحبة القرَّاء تزويدي بما يرونه على هذا الكتاب من ملاحظات. كما أرجو منهم تزويدي بما عندهم من أَخبار وقَصص وفوائد تتعلَّق بهذا الكتاب على فاكس ٢٤١٤٠٨٠، أَو عبر مكتب التوجيه التربوي بشرق الرياض ثانوية الرضوان.

كتبه/ أَبو عبدالإِله صالح بن مقبل العصيمي التميمي

قائمة بأهم المراجع التي قمت بالرجوع إليها

١ - القرآن الكريم.

٢ - صحيح البخاري.

٣ - صحيح مسلم.

٤ - «عون المعبود» شرح سنن أبي داود.

٥ - «تحفة الأحوذي» شرح سنن الترمذي.

٦ - سنن النسائي.

٧ - سنن ابن ماجه.

٨ - لطائف المعارف لابن رجب.

٩ - المتساقطون في طريق الدعوة. فتحي يكن.

١٠ - ثعلبة بن حاطب. الصحابي المفترى عليه. عداب محمود الحمش.

١١ - تفسير الطبري.

١٢ - تفسير البغوي.

١٣ - تفسير ابن كثير.

١٤ - البداية والنهاية لابن كثير.

١٥ - سير أعلام النبلاء. الذهبي.

١٦ - مسند ابن أبي يعلى الموصلي.

١٧ - مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي.

١٨ ـ الضلالة بعد الهدى. عبدالله الجارالله.
١٩ ـ التذكرة بأَحوال الموتى وأُمور الآخرة. القرطبي.
٢٠ ـ ذم الهوى لابن الجوزي.
٢١ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن القيم.
٢٢ ـ الفاحشة عمل قوم لوط. محمد الحمد.
٢٣ ـ صحيح ابن حبان.
٢٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
٢٥ ـ موسوعة الأطراف. سعيد زغلول.
٢٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. وايم رافق.
٢٧ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأَثير.
٢٨ ـ قرع السياط في قمع اللواط ـ محمد السفاريني بتحقيق راشد الفضيلي.
٢٩ ـ مختصر قيام الليل. للمروزي.
٣٠ ـ سوء الخاتمة. للمطلق.
٣١ ـ الثبات عند الممات.
٣٢ ـ ديوان سيد قطب.
٣٣ ـ ديوان الشافعي.
٣٤ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل.
٣٥ ـ الصحيح المسند مقبل الوادعي.
٣٦ ـ مقال للأستاذ شوقي الأسطيل.
٣٧ ـ الغلو. عبدالرحمن اللويحق.

٣٨ ـ إعلام الزمره بأحكام الهجرة. للشيخ الأنصاري.
٣٩ ـ آفات على الطريق. محمد سيد نوح.
٤٠ ـ مصنف عبدالرزاق.
٤١ ـ مصنف ابن أبي شيبة.
٤٢ ـ شؤم المعصية. محمد الدويش.
٤٣ ـ الإخلاص/ صالح مقبل العصيمي.
٤٤ ـ السلسلة الصحيحة. للألباني.
٤٥ ـ مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني.
٤٦ ـ صحيح الجامع للألباني.
٤٧ ـ إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل لألباني.
٤٨ ـ طبقات ابن سعد.
٤٩ ـ سيرة ابن هشام.
٥٠ ـ الإصابة في تمييز الصحابة.
٥١ ـ مجموعة أشرطة لكل من :
الشيخ أحمد القطان.
الشيخ طلال الضويحي.
الشيخ عادل العبدالعالي.
الشيخ محمد الدويش. الحور بعد الكور.
٥٢ ـ متى نصر الله. الشيخ عبدالعزيز الجليل.
٥٣ ـ الأبيات الجامعة للمسائل النافعة. عبدالله الجارالله.
وغيرهـــــا.